المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

مواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في القرآن الكريم دراسة بلاغية

Citizens of the conjunction of a predicate connected to (fa) in the Holy Qur'an, a rhetorical study

بقلم

على عبد الرحيم محمود عبد الهادي

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار يونيه ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

مواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في القرآن الكريم دراسة بلاغية

على عبد الرحيم محمود عبد الهادي
قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا - جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني : aliabdelhadi.el.8.7@azhar.edu.eg

الملخص

فإن التعبير بالاسم الموصول، وصلته باعتبارهما من صور مطل العبارة، وإشباع الحديث عنها، وبسط الكلام فيها، يعدان من أعظم وسائل التعبير، وأقوى عناصر التنزيل، التي كشفت عن المعاني، ودلت على الأحكام، وحققت التشريع، وأبلغت الرسالة، وقد كان من أدقها غموضًا، وأكثرها إفادة، وأعمقها دلالة مقامات الاقتران بـــ(الفاء) النابعة عن تضمين الاسم الموصول معاني الشرط، وذلك لجمعها بين أسلوبين، وتحقيقها لغايتين، وقيامها بعملين لهما من التأثير ما لا يقادر قدره، ولا يدرك كنهه، وذلك بما يحققانه من ترسيخ لضوابط عامة، وأحكام قاهرة، وقوانين ثابتة يعجز عن الوفاء بها أحدهما، والقيام بشأنها طرفهما، ومن ثم جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (مواطن اقتران خبر الموصول بـــ(الفاء) في القرآن الكريم دراسة بلاغية)؛ لتقف من وراء الدلالات النحوية على كشف الملامح الدلالية، والغايات الأسلوبية، والإشارات البلاغية التي قصدت إليها المعاني من وراء إيثار هذا النمط التعبيري، والوجه الإعرابي ، بما يحققه من تأثير، ويقوم عليه من تأويل يسهم في تحقيق الغاية، و كشف الدلالة، والتي لا أعلم أن أحدًا قد سبقني إليها من الوجهة البلاغية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يكون بالوقوف على بنية التركيب، ومعرفة ملابساته، لاسيما وقد ارتبط بأسلوب قد عده النحاة من الزيادة، التي لا يليق أن يوصف بها التنزيل، وتكون مناط التأويل، ولم أقتصر في الدراسة على الاسم الموصول عندما يكون مبتدأ صريحًا، وإنما أضفت إليه ما كان أصله المبتدأ وتحول عنه بالناسخ من فعل أو حرف، وذلك رغبة في توسيع مجالات الدراسة، وكشف فوارق الدلالات، وتنوع الغايات.

الكلمات المفتاحية: خبر الموصول ، القرآن الكريم ، دراسة بلاغية

Citizens of the conjunction of a predicate connected to (fa) in the Holy Qur'an, a rhetorical study

Ali Abdul Rahim Mahmoud Abdul Hadi
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: aliabdelhadi.el.8.7@azhar.edu.eg

Abstract

The expression with the relative noun, and its connection as a form of elongation of the phrase, and the saturation of talking about it, and the expansion of speech about it, are considered among the greatest means of expression, and the most powerful elements of revelation, which revealed the meanings, indicated the rulings, fulfilled the legislation, and conveyed the message, and it was among the most accurate of them that was ambiguous. The most useful of them, and the most profound of them is the significance of the positions of conjunction with (F) that stems from the inclusion of the relative meanings of the condition, and that is because it combines two methods, achieves two goals, and performs two actions that have an influence that is inestimable and whose nature is not understood, and that is because of the establishment of general controls that they achieve. There are compelling rulings and fixed laws that neither one of them is able to fulfill, nor that either party can do about it. Hence, this study came under the title (The aspects of the conjunction of a predicate connected to (fa) in the Holy Qur'an, a rhetorical study); To find behind the grammatical connotations the semantic features, the stylistic goals, and the rhetorical references to which the meanings were intended behind the preference for this expressive style and the grammatical aspect, with the effect it achieves, and based on it an interpretation that contributes to achieving the goal, and revealing the significance, which I do not know. That someone beat me to it from a rhetorical point of view.

In this study, I relied on the analytical approach, which consists of identifying the structure of the structure and knowing its circumstances, especially since it was linked to a method that grammarians considered to be an addition, which is not appropriate to describe the revelation, and is the basis for interpretation. I did not limit the study to the relative pronoun when it is a subject. Frankly, I added to it what was originally the subject and was transformed from it by the copyist, whether a verb or a letter, out of a desire to expand the fields of study, reveal the differences in connotations, and the diversity of goals.

Keywords: connected news, the Holy Qur'an, a rhetorical study

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أعبده في كل وقت وحين، وأحمده حمد الشاكرين، وألوذ به في كل خطب ولين، وأقف على بابه وقوف السائلين، وأصلي وأسلم على نصير المستضعفين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن التعبير بالاسم الموصول، وصلته باعتبارهما من صور مطل العبارة، وإشباع الحديث عنها، وبسط الكلام فيها، يعدان من أعظم وسائل التعبير، وأقوى عناصر التنزيل، التي كشفت عن المعاني، ودلت على الأحكام، وحققت التشريع، وأبلغت الرسالة، وقد كان من أدقها غموضًا، وأكثرها إفادة، وأعمقها دلالة مقامات الاقتران بـ(الفاء) النابعة عن تضمين الاسم الموصول معاني الشرط، وذلك لجمعها بين أسلوبين، وتحقيقها لغايتين، وقيامها بعملين لهما من التأثير ما لا يقادر قدره، ولا يدرك كنهه، وذلك بما يحققانه من ترسيخ لضوابط عامة، وأحكام قاهرة، وقوانين ثابتة يعجز عن الوفاء بها أحدهما، والقيام بشأنها طرفهما، ومن ثم جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (مواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في القرآن الكريم دراسة بلاغية)؛ لتقف من وراء الدلالات النحوية على كشف الملامح الدلالية، والغايات الأسلوبية، والإشارات البلاغية التي قصدت إليها المعاني من وراء إيثار هذا النمط التعبيري، والوجه الإعرابي ، بما يحققه من تأثير، ويقوم عليه من تأويل يسهم في تحقيق الغاية، و كشف الدلالة، والتي لا أعلم –حسب اجتهادي – أن أحدًا قد سبقني إليها من الوجهة البلاغية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يكون بالوقوف على بنية التركيب، ومعرفة ملابساته، لاسيما وقد ارتبط بأسلوب قد عده النحاة من الزيادة، التي لا يليق أن يوصف بها التنزيل، وتكون مناط التأويل، ولم أقتصر في الدراسة على الاسم الموصول عندما يكون مبتدأ صريحًا، وإنما أضفت إليه ما كان أصله المبتدأ وتحول عنه بالناسخ من فعل أو حرف، وذلك رغبة في توسيع مجالات الدراسة، وكشف فوارق الدلالات، وتنوع الغايات.

وقد اقتضت طبيعة البحث هذا أن يأتي في فصلين تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة وفهارس على النحو التالي:

المقدمة: وذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

التمهيد: وعرضت فيه تعريف الاسم الموصول، ووقفت على أقسامه، ثم عرجت على (الفاء) كاشفًا عن ماهيتها، ومعرفًا بأقسامها وأنواعها التي يعد ربط جملة الخبر مظهرًا منها.

الفصل الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في القران الكريم. ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد.

المبحث الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعيد.

الفصل الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في القرآن الكريم. ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التشريع.

المبحث الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التحذير.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج، وأبرز التوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

الفهارس: واشتملت على:

١-فهرس المصادر والمراجع

٢-فهرس الموضوعات

وبعد

فهذا بحثي فإن أك قد اهتديت فيه إلى الصواب فما أسعدني به مظهراً من مظاهر توفيق الله، وفيضاً من كرمه ورضاه، وإن كانت الأخرى فحسبي أن جاء من حيث قصدت الإحسان.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[1]

١ - سورة هود من الآية (٨٨)

التمهيد

أولا: الاسم الموصول -تعريفه وأقسامه

الاسم الموصول هو اسم مبهم يحتاج – دائمًا – في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه – إلى أحد شيئين بعده؛ إما: جملة وإما شبهها، ولا بد في الجملة من ضمير يعود عليه، أو ما يغنى عن الضمير.

وهو ينقسم إلى قسمين: مختص وعام ويسمى مشتركًا

فالمختص: ما كان نصًّا في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض، مقصورًا عليها وحدها، فللمفرد المذكر ألفاظ خاصة به، وللمفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها، وكذلك للمثنى بنوعيه، وللجمع بنوعيه.

وأشهر ألفاظه ثمانية:

١–الذي: ويختص بالمفرد المذكر؛ سواء أكان عاقلا، أم غير عاقل؛ ويكون مبنيًا على السكون دائماً في كل أحواله غير أنه يكون في محل رفع، أو نصب، أو جر، على حسب موقعه من الجملة.

٢–التي: وتختص بالمفردة المؤنثة، عاقلة كانت أم غير عاقلة، وتكون مبنية على السكون دائماً في كل أحوالها؛ وتكون في محل رفع، أو نصب، أو جر، على حسب موقعها من الجملة.

٣– اللَّذانِ – واللَّذيْن: ويختصان بالمثنى المذكر؛ عاقلا أو غير عاقل. ففي حالة الرفع تحذف الياء من الاسم المفرد وهو: "الذي" ويجاء بعلامتي التثنية (الألف والنون المكسورة). وفى حالتي النصب والجر تحذف الياء أيضاً من ذلك المفرد، ويجاء بعلامتي التثنية؛ وهي: الياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة بعدها، والأحسن أن تكون "اللذان" و "اللتان" معربتان إعراب المثنى، وأن تكون نونهما مكسورة من غير تشديد في جميع أحوالها – رفعاً، ونصباً، وجراً.

٤–اللتانِ – اللتين: ويختصان بالمثنى المؤنث، عاقلا: وغير عاقل. وينطبق عليهما كل ما سبق في: "اللذان"؛ من حيث حذف ياء المفرد، وزيادة علامتي التثنية وإعرابه إعراب المثنى، ومن حيث تشديد النون وعدم تشديدها.

٥-الأُلَى: مقصورة، أو الأُلاءِ: ممدودة، وهما للعقلاء من جمعي المذكر والمؤنث، والأُلَى بالقصر مبنية على السكون. أما الممدودة فمبنية على الكسر، وكلاهما في محل رفع، أو نصب، أو جر، على حسب الجملة.

٦-الَّذينَ: للجمع المذكر العاقل، وهي لا تتغير حالتها رفعاً ولا نصباً ولا جرًّا؛ لأنها اسم مبنى على الفتح دائماً في محل رفع، أو نصب، أو جر على حسب موقعها من الجملة. وهذا الرأي وحده هو الأولى بالاتباع.

٧-اللَّاتِ: أو اللاتي: وتختصان بجمع المؤنث العاقل وغير العاقل، والأولى مبنية على الكسر والثانية مبنية على السكون في محل رفع، أو: نصب، أو: جرّ، على حسب موقعهما من الجملة.

٨- اللَّاءِ أو اللائي: وتختصان بجمع المؤنث العاقل وغير العاقل، والأولى مبنية على الكسر والثانية مبنية على السكون في محل رفع، أو: نصب، أو: جرّ، على حسب موقعهما من الجملة.

أما العام أو المشترك فهو ما ليس نصًّا في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض، وليس مقصورًا على بعضها؛ وإنما يصلح للأنواع كلها.

وأشهر ألفاظه ستة لا يقتصر واحد منها على نوع مما سبق في القسم الخاص؛ وإنما يصلح لجميع الأقسام من غير أن تتغير صيغته اللفظية، فكل اسم من الموصولات المشتركة ثابت على صورته، لا يتغير مهما تغيرت الأنواع التي يدل عليها؛ لأنه مبنى، وبناؤه على السكون، إلا لفظة: "أيّ" فإنها قد تبنى، وقد تعرب، ولما كان كل اسم من هذه الأسماء المشترَكة صالحًا للأنواع المختلفة كان الذي يوضح مدلوله ويميز نوع المدلول هو ما يجئ بعده من الضمير، أو غيره من القرائن التي تزيل أثر الاشتراك، وهي كالتالي:

١- مَن: وأكثر استعمالها في العقلاء، وتكون للمفرد بنوعيه، والمثنى والجمع بنوعيهما وقد تستعمل في غير العقلاء في الأحوال الآتية:

(ا) إذا كان الكلام يدور في شيء له أنواع متعددة، مفصلة بكلمة:(مَنْ) وفي تلك الأنواع العاقل وغيره.

(ب)إذا وقع مِنْ غير العاقل أمر لا يكون إلا من العقلاء؛ فعندئذ نشبهه بهم، وننزله منزلتهم في استعمال (مَن).

(حـ) أن يكون مضمون الكلام متجهًا إلى شيء يشمل العاقل وغيره، ولكنك تراعى أهمية العاقل؛ فتغلبه على سواه.

٢-ما: وأكثر استعمالها في غير العاقل، وتكون للمفرد بنوعيه، والمثنى والجمع بنوعيهما، وقد تكون للعاقل في مواضع:

(ا) إذا اختلط العاقل بغيره، وقصد تغليب غير العاقل لكثرته.

(ب) أن يلاحظَ في التعبير أمرانِ مقترنان؛ هما: ذات العاقل، وبعض صفاته، معًا.

(حـ) المبهم أمره؛ كأن ترى من بُعْد شبحًا لا تدري أهو إنسان أم غير إنسان؛ فتقول: إني لا أتبين ما أراه، أو لا أدرك حقيقة ما أراه.

٣-أل: وتكون للعاقل وغيره؛ مفردًا وغير مفرد، ولا تكون موصولة إلا إذا دخلت على صفة صريحة؛ فتكون الصفة مع مرفوعها هنا من قسم شبه الجملة الواقع صلة؛ ومع أن "أل" بكونها اسم موصول تعتبر كلمة مستقلة، فإن الإعراب لا يظهر عليها؛ وإنما يظهر على الصفة الصريحة المتصلة بها.

٤- ذو: وتكون للعاقل وغيره؛ مفردًا وغير مفرد؛ نحو: زارني ذو تعلَّمَ، وذو تعلمتْ. وذو تَعَلَّما. وذو تعلمتا، وذو تعلموا، وذو تَعَلَّمْنَ. وهي مبنية على السكون المقدر على الواو، في محل رفع، أو نصب، أو جرّ، على حسب موقعها من جملتها.

٥-ذا: وتكون للعاقل وغيره. مفردًا وغير مفرد؛ نحو: ماذا رأيته؟ ماذا رأيتَها؟ ماذا رأيتَهما؟ ماذا رأيتهم؟ ماذا رأيتَهن؟ ويصح وضع: (مَنْ) مكان: (ما) في كل ما سبق، ولا تكون ذا موصولة إلا بثلاثة شروط:

أولها: أن تكون مسبوقة بكلمة: "ما" أو: كلمة: "من" الاستفهاميتين؛ كما في الأمثلة السابقة.

ثانيها: أن تكون كلمة "مَن" أو "ما" مستقلة بلفظها وبمعناها – وهو الاستفهام غالباً–، وبإعرابها؛ فلا تُركَّب مع "ذا" تركيباً يجعلهما معًا كلمة واحدة في إعرابها (وإن كانت ذات جزأين) وفى معناها أيضًا.

ثالثها: ألا تكون "ذا" اسم إشارة، فلا تصلح أن تكون اسم موصول؛ لعدم وجود صلة بعدها، وذلك بسبب دخولها على مفرد.

٦–أيّ: وتكون للعاقل وغيره. مفردا، وغير مفرد؛ تقول؛ يسرني أيٌّ هو نافع. يسرني أيٌّ هي نافعة. يسرني أيٌّ هما نافعان. يسرني أيٌّ هما نافعتان. يسرني أيٌّ هم نافعون. يسرني أيٌّ هن نافعات.

وتختلف(أيٌّ) في أمر البناء والإعراب؛ عن باقي أخواتها من الموصولات المشتركة، فأخواتها جميعًا مبنية، أما هي فتُبْنى في حالة واحدة، وتعرب في غيرها، فتُبْنَى إذا أضيفت وكانت صلتها جملة اسمية، صَدْرُها – وهو المبتدأ – ضمير محذوف؛ نحو: يعجبني أيّهم مغامرٌ. سأعرف أيُّهم مغامر، سأتحدث عن أيُّهم مغامرٌ. والأصل: أيهم هو مغامر. فإن لم يتحقق شرط من شروط بنائها وجب إعرابها.[1]

ثانياً: (الفاء) معانيها وأقسامها.

الفاء حرف مهمل، خلافاً لمن زعم أنها تجر إذا نابت عن رب، ولمن ذهب إلى أنها تنصب المضارع في الأجوبة.

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام كالآتي:

أولها: الفاء العاطفة، وهي من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب. فإذا قلت: قام زيد فعمرو، دلت على أن قيام عمرو بعد زيد، بلا مهلة. فهي تشارك (ثم) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، و(ثم) تفيد الانفصال. هذا مذهب البصريين، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه.

١– ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب–لأبي حيان الأندلسي–ت د. رجب عثمان محمد– ١٠٠٢/٢ وما بعدها – ط: مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولى– ١٤١٨ه– ١٩٩٨م، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع– تأليف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي–ت: أحمد شمس الدين– ٢٦٦/١ وما بعدها–ط: دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان–الطبعة الأولى– ١٤١٨ه–١٩٩٨م، والنحو الوافي–تأليف: عباس حسن– ٣٤١/١ وما بعدها – ط: دار المعارف–الطبعة الثالثة.

ثانيها: الفاء الجوابية، ومعناها الربط، وتلازمها السببية. قال بعضهم: والترتيب أيضاً، كما ذكر في العاطفة. ثم إن هذه (الفاء) تكون جواباً لأمرين: أحدهما الشرط بـ(إن) وأخواتها. والثاني ما فيه معنى الشرط نحو (أما).

ثالثها: الفاء الزائدة، وهي ضربان:

أحدهما:(الفاء) الداخلة على خبر المبتدأ، إذا تضمن معنى الشرط. نحو: الذي يأتي فله درهم. فهذه الفاء شبيهة بفاء جواب الشرط، لأنها دخلت لتفيد التنصيص على أن الخبر مستحق بالصلة المذكورة. ولو حذفت لاحتمل كون الخبر مستحقاً بغيرها.

الثاني: التي دخولها في الكلام كخروجها. وهذا القسم لا يقول به سيبويه، وقال به الأخفش، وزعم أنهم يقولون: أخوك فوجد.[١]

١- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب -لابن هشام الأنصاري- ت: د. عبد اللطيف محمد الخطيب- ٤٧٥/٢ وما بعدها-ط: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، والجنى الداني في حروف المعاني-صنعة الحسن بن قاسم المرادي-ت: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل-ص ٦١ – ط: دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- الطبعة الأولى-١٤١٢ه-١٩٩٣م.

الفصل الأول

مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في القرآن الكريم

توطئة

تتنوع الجملة العربية بين أن تكون اسمية وبين أن تكون فعلية، ويكون ذلك خاضعًا لأسرار ترجع إلى طبيعة الأسلوب الذي استدعاه المعني، وأحوج إليه المقام، ودعت إليه الغاية، والذي يختلف ثبوتًا واستمرارًا وتجددًا وحدوثًا، وتبعًا لهذه الأغراض العامة تنوع خبر الموصول، بين إتيانه جملة اسمية، وإتيانه جملة فعلية، وقد كان لـ(الفاء) بارتباطها بالأسلوبين غاياتها التي زادت المقام تأكيدًا وتقريرًا، فضلا عما حققته-مع الإشباع الذي يفيده التعبير بالجملة- من عناية بالمعني الذي قاد إليها، والذي كأنه يتناغى مع الإشباع المقتضي للتعبير بالموصول وصلته، لاسيما عندما ارتبط بالقرآن الكريم مما أحوج إلى الوقوف على الأسرار البلاغية التي اقتضت هذا التنوع، وقد ظهر من خلال الدراسة أن الجملة الاسمية المقترنة بـ(الفاء) قد وردت في مقامات الوعد، وفي مقامات الوعيد ، وقد كان لكل منها غاياتها التي حققت دلالات الثبوت، والدوام، والاستمرار التي كأنها تناغي ارتباطها بالآخرة، وحدوثها فيها ثوابًا تارة، وعقابًا تارة أخرى.

المبحث الأول

مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد

يعد الوعد- بأصل وضعه-من أكثر الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في إيناس القلوب، وترويض النفوس، وذلك بما يبعثه من همة، تقود النفوس إلى الطاعة والاستجابة، وتحقق لها الطمأنينة والسكينة، لاسيما عندما يتعلق بجزاء غيبي، ووعد رباني يتخذ من التأكيد والتقرير، والتهيئة والتشويق وسيلة لإظهار الحرص، وتصوير الاهتمام، والذي يعد التعبير بالاسم الموصول المتضمن لمعاني الشرط، مع الإخبار عنه بالجملة المقترنة بـ(الفاء) خير أداة لتحقيق ذلك، والدلالة عليه، ولهذا ورد الاقتران بـ(الفاء) في خبر الموصول الصريح في مقام الوعد في ستة مواضع من جملة مواضعه البالغة عشرة مواضع.

فمن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد قول الله -تعالى- {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[1].

فالسياق القرآني بعد أن قرر في هذا المقام، أن الإنفاق في سبيل الله -تعالى، لا ينبغي أن يكون إلا من الطيبات، اهتم بتقرير جانب آخر ألا وهو جانب الإخفاء، والإعلان، وبين أنهما في الفضل سواء، وأن الإخفاء خير، ومن ثم احتفل بتأكيده بعرضه ثانية في هذه الصورة التي جاء فيها بخبر الموصول جملة اسمية مقترنة بـ(الفاء) ، والتي كأنها جاءت لتكشف عن عظم هذا الثواب المترتب على هذا الإنفاق، وسرعة الجزاء، المترتبة عليه ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا وذلك بالخلف والتعويض فضلا عن تحقيقه، وتثبيته نتيجة نيتهم الخالصة فيه في السر والعلن، ومن ثم ترك السياق عطف هذه الآية على ما قبلها ليجعلها وكأنها خارجة من رحم ما سبقها، وذلك باعتبارها بمثابة تقرير لفضائل الإنفاق في أعلى صوره، وأعظم مراتبه، ولعل هذا ما قصد إليه بإيثاره التعبير بالاسم الموصول (الذين) الذي يعد بمثابة تعظيم وتنويه بهؤلاء، وذلك بتمييزهم أكمل تمييز، ولعل هذا هو

١- سورة البقرة الآية (٢٧٤)

سر العدول عن التعبير بقوله: (المنفقون) إلى ما ورد عليه النص القرآني، والذي آثر (الإنفاق) ليكشف بأصل دلالاته على المضي والذهاب والانقطاع والنفاد،[1] ،عن كثرة هذه النفقات التي لا تكاد تُبقي شيئًا، وهو ما لا يحققه التعبير بـ (الإعطاء) أو(التصدق)، فالسياق بإيثاره التعبير بـ(الإنفاق) كأنه يقصد عموم وجوه الإنفاق التي لا تترك شيئًا إلا وتسهم فيه، ولعل هذا ما قصد إليه من وراء إيثاره لصيغة المضارعة (ينفقون) بما تحمله من دلالات الاستمرار التجددي، والذي كأنه هو الذي استدعي الجمع بين (الليل والنهار)،و(السر والعلانية)، ومن ثم ربطها بـ(الباء) التي تجعل بأصل دلالتها على الإلصاق والملابسة الإنفاق هذا وكأنه قد كان في كل أجزاء الليل والنهار وليس في وقت محدد منهما كما هو مفاد التقييد بـ (في) الظرفية لو عبر السياق بقوله (في الليل والنهار)، ومن ثم آثر التعريف بـ(أل) الدالة على استغراق الليل والنهار كله في التصدق والإنفاق، ونكر(سِرًّا وَعَلَانِيَةً)، ليجعل هذا الإسرار، وهذا الإعلان خارجًا من رحم الليل والنهار باللف والنشر المرتب بناءً على ارتباط الإسرار بالليل، والإعلان بالنهار، فهو بالجمع بينهما مع الإلحاح بالتصريح بالإسرار، والإعلان كأنه يؤكد دلالات العموم التي تقصد إليها المعاني من وراء تضمين الاسم الموصول معاني الشرط[2]، يشعر بهذا تعبيره بالجمع (أموال)، وإضافتها إليهم تأكيدًا للملكية التي لا يكون الإنفاق بكل صوره التي تفيدها دلالات العموم المفعم بها هذا السياق إلا منها، لاسيما وأنه بأصل دلالته على الميل والزوال[3] كأنه هو الذي يحقق ذلك، وجعل الليل والسر هما الأصل بالتقديم ليلائم كون الإخفاء هو الأصل في الخيرية التي صرح بها السياق

١-ينظر: معجم مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- ت: عبد السلام محمد هارون - ٤٥٤/٥ (نفق)-ط: دار الفكر -بيروت -١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، والمفردات في غريب القرآن - تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني- ت: محمد سيد كيلاني- ص ٥٠٢- دون.

٢- ينظر: تفسير التحرير والتنوير- تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- ٧٧/٢-ط: الدار التونسية- تونس-١٩٨٤م.

٣-ينظر: المفردات ص٤٧٨

بقوله:{إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ}[١]، ومن ثم جعل جزاءه التكفير خاصة، وكأنه بما يحمله من معاني التغطية يناغي الستر والإخفاء، الذي تدل عليه مادة (نفق) نفسها[٢].

فدلالات العموم ،والاستمرارية التي تنبض بها المعاني في هذا السياق هي التي اقتضت إتيان خبر(الذين) مقترناً بـ(الفاء)؛ وذلك لأنه بتضمنه معني الشرط كأنه يهيئ النفوس، ويشحذ الأذهان لتدرك عظم هذه الأعمال ،وعظم ما يترتب عليها من جزاء ومن ثم جاء الخبر في صورة الجملة الاسمية ليناغي بدلالته على الدوام والاستمرار دوام واستمرارية الإنفاق، ومبالغة في التأكيد الذي اقتضى الاقتران بـ(الفاء) قصر السياق هذا الأجر بكونه لهم دون غيرهم ، وآثره على الجزاء؛ لأنه لا يكون إلا في النفع[٣] ، وفي هذا ما فيه من تنويه، وتعظيم لهذا الأجر الذي كأنه يناغي عظم العمل، وجلالة قدره التي تفيدها الإضافة إليهم الملاءمة لإضافة المال في (أَمْوَالَهُم) ؛ ليكون الجزاء من جنس العمل ، إشادة بهذا الإنفاق الذي تعددت صوره، وتنوعت أشكاله، واختلفت مظاهره، وهو ما تصوره (عند) بدلالات العموم التي تفيدها بكونها في المكان ،والاعتقاد، والزلفى، والمنزلة[٤]، فضلا عما تحمله من دلالات القرب[٥] الباعثة للاستقرار المحقق للطمأنينة التي يؤكدها التعبير بـ(الربوبية)، ومن ثم أضافهم إليها تكريما لهم، واعترافًا بفضلهم، تعظيمًا لشأن الأجر[٦] الذي يجليه تكرار جملة الخبر بالعطف بقوله:{وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

فالسياق آثر نفي (الخوف) خاصة دون ما يؤدي معناه من(الفزع)، أو(الخشية) باعتباره يمثل أول درجات القلق، والاضطراب من باب نفي الأعلى

١-سورة البقرة من الآية (٢٧١)

٢-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/٤٥٤ (نفق)

٣- ينظر: المفردات ص ١١

٤-ينظر: المفردات ص ٣٤٩

٥- ينظر: المفردات ص ٣٤٩

٦-ينظر: تفسير التحرير والتنوير٢ /٧٧

بنفي الأدنى، وكأن البخل، والإمساك لما كان بسبب ما يخالط النفوس من عوز الحاجة، جاء السياق ليبين أن مشاعر الخوف التي تخالج النفوس قهرًا عند الإنفاق يكون جزاؤها الطمأنينة والسكينة عند ربهم؛ ومبالغة في تحقيق ذلك عبر بالمصدر(خوف) لينفي تلبس الخوف بهم في أي صورة من صوره، وفي هذا تأكيد لدلالات الاستمرارية المقتضية لتعظيم الثواب الذي يحظون به؛ ولهذا عندما عطف عليه الحزن المنفي آثر الجملة الاسمية فقال:{وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}،وكأنه بهذا يؤكد دلالات الاستمرارية التي يدعو إليها السياق، وإنما عبر بصيغة المضارعة (يحزنون) ليبالغ في تأكيد نفي الحزن عنهم بإسناده إليهم مرتين، هذا فضلًا عما فيه من التخصيص المفاد من ضمير الفصل (هم)، والذي كأنه يقصر نفي الحزن عنهم دون غيرهم، فضلًا عن تجدده منهم.

والسياق بتعبيره بـ(الحزن) الدال على تكاثف الهم وعظمه، كأنه يحقق التضاد بينه وبين الخوف، وذلك بكونه على شيء حاصل ماضٍ بخلاف الخوف الذي يكون من شيء مكروه[1] ، فضلًا عن أن الحزن بكونه في الباطن بحيث لا تظهر ملامحه على صاحبه[2]، يخالف الخوف فإنه يكون ظاهرًا معروفًا، ولعل في الإخبار عنه بـ(على) ما قد يشي بذلك، وبهذا يكون السياق بنفي حصول ما يؤذيهم ظاهرًا وباطنًا، يجعل الجزاء من جنس العمل، ويؤكد أن إنفاقهم بالليل والنهار سرا وعلانية يكون جزاؤه حصول الأمن لهم ظاهرًا وباطنًا، وفي هذا تأكيد لدلالات الاستمرارية التي اقتضت إتيان الخبر مقترنًا بـ(الفاء) المؤكدة لعظم الثواب، باعتباره يمثل أعلى مراتب وصور الإنفاق، وهذا بخلاف قوله تعالى:{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[3]،فإن الخبر لم يقترن بـ(الفاء) لأنه مع عظم

١- ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية -لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – ت: د. عدنان درويش، ومحمد المصري- ص ٤٢٨-ط: مؤسسة الرسالة-الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢- ينظر: الفروق اللغوية-للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري-ت: محمد إبراهيم سليم- ص ٢٦٧ – ط: دار العلم والثقافة- القاهرة، والكليات ص٤٢٨

٣-سورة البقرة الآية (٢٧٧)

الثواب الموعود عليه يمثل نوعًا خاصًا من الإنفاق، يؤيد هذا تجريد السياق للخبر من الاقتران بـ(الفاء) عند قوله:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[١]، باعتبار أن آداء الزكاة نوع خاص من الإنفاق كأنه يمثل الفريضة فقط، ومن ثم لم يقترن خبره بـ (الفاء)، مع عظمه ، وعظم الثواب الموعود عليه، والذي كأنه استعيض عنه بتصدير الآية الكريمة بالتأكيد بـ(إنَّ).

والسياق بتقديمه (الخوف) على (الحزن) أحدث نوعًا من اللف والنشر غير المرتب؛ وذلك لأن الخوف بارتباطه بالظاهر كأنه يلائم النهار، والعلانية، والحزن بارتباطه بالباطن كأنه يلائم الليل والسر؛ ولهذا عندما أخر السياق الحزن المنفي الملائم للستر والإخفاء استعاض عن ذلك بتأكيده بإسناده إليهم مرتين بالجملة الفعلية (يحزنون)، مبالغة في بين أفضلية الستر والإخفاء الملائم للخيرية المنصوص عليها بقول الله –تعالى–:{وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}[٢]،وبهذا استطاع السياق أن يجعل الإخفاء أولًا وآخرًا، ولعل في الاقتران بـ(الفاء) بكونها أخف الحروف ما يلائم هذا الإخفاء الذي تعتني به هذه الآية داخل سياقها، وذلك مع ما فيه من تأكيد بزيادة المبنى مقارنة بمثيلاتها ممن تحث على الإنفاق، وترغب فيه، لاسيما في هذه السورة التي يعد الإنفاق في سبيل الله تعالى من أعظم مقاصدها، والتي قررها السياق بوصفه المتقين بقوله: {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون}؛ ولهذا احتفلت السورة الكريمة بالترغيب في الإنفاق، وبيان ضوابطه، وما ينبغي أن يصحبه من أحوال كالإخلاص، والإخفاء، وذلك باعتباره أحد صور البر التي قررها سبحانه وتعالى بقوله: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ}[٣].

١–سورة البقرة الآية (٢٧٧)

٢–سورة البقرة من الآية (٢٧١)

٣–سورة البقرة من الآية (١٧٧)

فاحتفال السياق الجزئي هذا بذكر إيتاء المال على حبه، وبيانه لمصارف الإيتاء بذكر ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، ثم إعادته لقوله:(وآتى الزكاة)، كأنه يشعرنا بأهمية هذا المقصد باعتباره ركنا من أركان الإسلام التي بني عليها، وفي جعله بديلًا لركنين عظيمين من أركان الإسلام ما قد يشي بذلك، وذلك بجعل الإنفاق، والإطعام صورة من صور جبر التقصير في الصيام والحج، وذلك بقوله في السورة نفسها: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}[1]، ثم قوله:{ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}[2]، ثم إن العناية بالإنفاق-والتي قررها كونه من مقاصد السورة المصرح بها في مستهلها -كأنها هي التي جعلت السياق يخصه بالسؤال عنه في آية:{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[3]، والتي خولفت فيها الإجابة للإشارة إلى أن المقصود ليس المنفَق، وإنما المنفَق عليه، وذلك برعاية كرامته، ومنزلته، والعناية بها، وعدم خدشها، أو التقليل منها، وكأن هذا ما قصد إليه السياق ببيان مصارفه بين الحين والآخر، ومن ثم جاء الأمر به صراحة بقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[4].

فالآية الكريمة هذه بتوجيهها الخطاب إلى المؤمنين كأنها تشير إلى أن الإنفاق الحق الخالص لا يتأتى على أكمل وجه، وفي أحسن صورة إلا بالإيمان بكونه تابع للتقوي التي تلح عليها السورة في جل سياقاتها، والتي تعد المقصد الرئيس لكل خير، وكل فضل، ومن ثم بالغ في الترغيب في الإنفاق، وبيان الثواب المعقود عليه بتشبيهه في تضاعف ثوابه بصورة حبة تتضاعف حباتها بعد زراعتها، واشترط

١- سورة البقرة من الآية (١٨٥)
٢-سورة البقرة من الآية (١٩٦)
٣-سورة البقرة الآية (٢١٥)
٤- سورة البقرة الآية (٢٥٤)

لذلك الإخلاص والطاعة، واللين والرفق وذلك بقوله: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[١]

فالسياق الكريم بترك العاطف جعل هذه الآية وكأنها خارجة من رحم سابقتها، وكأنها تفصيل لهذا الثواب المضاعف، وقيد هذا الإنفاق بقوله في سبيل الله لتأكيد الخيرية الملائمة لخيرية الثواب، وعطف عليه جملة {ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى} ليحترس ممن يضيعون ثواب إنفاقهم بهذه الأعمال المنافية للأخلاق، والفضائل، ولعل هذا ما قصد إليه من وراء العطف بـ (ثم) التي كأنها بدلالتها على التراخي تستوقف النفوس عند هذا العمل الذي يودي بالثواب العظيم الموعود على الصدقة، والذي كأنه اقتضى إعادة ذكر (الإنفاق) ثانية بماله من فضل، والذي كأنه يعد لفت وتنبيه إلى عظم هذا العمل، وعظم ما يذهبه من فضائل، وأعمال، ومن ثم ذكر المنَّ، وعطف عليه الأذى، مع أنه منه وداخل فيه، ولكنها العناية بدفع هذا الأمر، وصرفه، والإبعاد له، ورغم هذه العناية، وهذا الإشباع إلا أن السياق لم يقرن خبر الاسم الموصول بـ (الفاء) فيقول (فلهم أجرهم) ، وفي هذا إشارة إلى أن مقام الإنفاق هذا مع فضله، وعلو شأنه المنصوص عليه بدلالات التخصيص المفادة من تقديم الخبر (لهم) علي المبتدأ(أجرهم)، وتقييده بكونه (عند ربهم) مقروناً بجملة الحال (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) كأنه يمثل درجة أقل من درجات الإنفاق تعدل درجة الحبة بالنسبة للجنَّةِ المنصوص عليها بقوله:{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[٢]، ومن ثم كان هذا الترقي في بيان ثواب الإنفاق المبتغى به وجه الله –تعالى–، والمثبِّت للنفس الإنسانية سبيل لإعادة نداء الذين آمنوا ثانية ،وأمرهم بالإنفاق ليس على الإطلاق ،وإنما الإنفاق من الطيبات، ولما كان لهذا الأمر تعلقه بالنفس جاء النهي عقب الأمر

١- سورة البقرة الآية(٢٦٢)

٢- سورة البقرة الآية (٢٦٥)

في صورة تذييل ينزع من النفوس حب المال، وتعلقها به، ورغبتها فيه، وهو ما صوره القرآن بقوله:(وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ)[1]، وما ترتب عليه من أمر بالإخفاء وترغيب فيه صورته (الفاء) باقترانها بالخبر فيما سبق.

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ*وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[2]

في هذه الآيات الكريمات جاء خبر الموصول الاسمي (فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) مقترنا بـ(الفاء) دون سواه مما ورد في هذا السياق الجزئي؛ ليبالغ في تأكيد الأفضلية التي حظي بها من تأخرت هجرتهم، وأنهم سينالون من الشرف والمكانة مثل ما ناله السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار؛ فـ(الفاء) المقترن بها الخبر الاسمي هذه كأنها تدفع مظنة النقص التي قد يوحي بها التأخر، ومن ثم اقترنت باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أُولَئِكَ) الدال على عظم مكانتهم، وارتفاع منزلتهم، والتي كأن السياق قد قصد إليها بإيثاره الالتفات من الغيبة إلى الخطاب بقوله: (معكم- منكم)[3]، والذي كأنه بتوجيهه إلى السابقين من المهاجرين، والأنصار يريد أن يقرر في نفوسهم، وأن يلفت أذهانهم إلى أن العزوف عن الدنيا، وتركها وراء الظهور بالهجرة هو الذي يترتب عليه عظم الأجر، وعظم الفضل، وليس مجرد السبق

١-سورة البقرة من الآية (٢٦٧)

٢-سورة الأنفال الآيات (٧٢-٧٥)

٣- ينظر: روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني-للعلامة الألوسي البغدادي- ١٠/٣٩- ط: دار إحياء التراث العربي-بيروت

فحسب كما قد يُظن، وفي دلالات الأولية التي تفيدها (من) بدلالتها على ابتداء الغاية ما قد يحقق هذا ، ولعل هذا هو سر الإلحاح علي الإتيان بها في قيد (مِنْ بَعْدُ)، والذي يشير بقطعه عن الإضافة إلى أن الهجرة في سبيل الله -تعالى- في كل أحوالها، وأوقاتها مرتبطة بالخيرية لقيامها على ترك الدنيا، وهجرها، والتخلي عنها، ولعل هذا هو سر تقديم ذكر الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس في قوله- تعالى-:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} بل هو سر تقديم المهاجرين، وجعلهم في المرتبة الأولى من الفضل، ثم إن الزهد في الدنيا، والتخلي عنها الوارد في سياق العتاب هذا، والذي أوجبه السؤال عن الأنفال، والاختلاف عليها، ثم إيثار الفداء، وتقديمه، والذي كان سببًا في تنزل السورة[١] - كأنه هو ذاته الذي اقتضى تقديم الإيواء على النصرة في جانب الأنصار ؛لكونه بالمسكن، والملبس؛ والمطعم وغيرها مما له تعلق بالمال، وارتباط به؛ ولهذا عندما عددت السورة الكريمة أوصاف المؤمنين حقا لم تغفل جانب الإنفاق بقولها:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[٢].

فالسياق بإيثاره التعبير بصيغة المضارعة (يُنْفِقُونَ) كأنه يرغب في استمرار ومداومة الإنفاق في سبيل الله باعتباره في حقيقته رزق من الله تعالى ساقه إليهم، ويسره لهم، ومن ثم أسنده المولى -سبحانه وتعالى- إلى نفسه تشريفا له، ونص عليه في الجزاء بقوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[٣]، ثم قوله:{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[٤]،

١-ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل-للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري -ت: الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرين-٢/٥٥٠،٥٥١- ط: مكتبة العبيكان-الطبعة الأولى -١٤١٨ه-١٨٩٨م، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي-ت: عبد الرزاق غالب المهدي-٣/١٨٧ ط: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

٢-سورة الأنفال الآيتان (٢،٣)

٣-سورة الأنفال الآية (٤)

٤-سورة الأنفال من الآية (٧٤)

فالأسلوب في الآيتين بقصره الرزق الموسوم بالكريم الوارد في مقام الجزاء هـذا- على كونه لهؤلاء المؤمنين دون غيرهم، كأنه يلائم تخليهم عن الـدنيا ، وزهـدهم فيها، وعزوفهم عنها، وفي هذا ما فيه من عناية بصرف المسلمين عـن التعلـق بالمال، والرغبة فيه، والذي كان سببًا في النزاع والشقاق، الذي تنزلـت السـورة لتنهى عنه، وتقضي عليه؛ لما يمثله من خطورة على وحدة المسلمين، وشق عصا الطاعة بينهم، وهم في أمس الحاجة إلى النصر والتمكين، وهو ما أراد أن يوطـد أركانه بختم هذه السورة الكريمة بالدعوة إلى الترابط، والاتحاد المصدر بـ(إنّ) التي كأنها تقابل التأكيد الوارد في قوله تعالى:{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ[1]-إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ[2]-إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[3]}،والذي كأنه ينبه على خطورة الأعداء التـي توجب الترابط، وإصلاح ذات البين الذي صدرت به السورة الكريمة، ومن ثم ربط به الأمر بالتقوى، وأكده بقوله:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّـذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّـهُ وَجِلَـتْ قُلُوبُهُمْ....)[4]

فالعناية بتقرير هذه الأمور، وبيان فضائلها كأنها هي التي اقتضت التعبيـر بالاسم الموصول (الذين) تمييزًا لهم أكمل تمييز، وتنبيهًا إلى أهميـة، وعظـم مـا يأمرهم به من ترابط وتواصل تصوره الولاية بقوله:(أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْـضٍ) بما تحمله من تعاطف وتراحم وإخلاص في المودة[5] رسخ له ما فرض بينهم مـن توارث[6]، مقرونة بالعطف بـ(الواو) بقوله:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِـي سَبِيلِ اللَّهِ- وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا مَعَكُـمْ)، فإيثـار العطـف

١-سورة الأنفال الآية (٢٢)

٢-سورة الأنفال الآية (٣٦)

٣-سورة الأنفال الآية (٥٥)

٤-سورة الأنفال من الآية (٢)

٥- ينظر: الفروق اللغوية ص١٨٩

٦- ينظر: نظم الدرر ٢٤٩/٣، وتفسير التحرير والتنوير ٨٥/١٠

بـــ(الواو) رغم التكرار الذي يقتضي تأسيس التأكيد، كأنه يلائم الدعوة إلى الترابط حتى بين الألفاظ، والعبارات، والتي تعد (الفاء) الرابطة المقترنة بالخبر وكأنها جزء منه ، لاسيما حين ينضم إليها ذكر المعية، والنص عليها بقوله: (معكم) التي تكون بالاجتماع في المكان، والزمان، والشرف والمنزلة ،فضلًا عما تحققه مـــن معـــاني النصرة والتأييد[١] الملائمة بأصل دلالتها على الجلبة والاختلاط[٢]للجهاد المصـــرح به في سياق السورة الكريمة بقوله:(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِـــنْ رِبَـــاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٣]، وإنما جاء بقوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُـــهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) بين هذه العطوف، تنبيهًا للمؤمنين ليأخذوا حذرهم، ويدركوا خطـــر المشركين، فلا يأمنوا شرهم، ولهذا لم يحتفل السياق بولايتهم هذه بتأكيـــدها باســـم الإشارة (أُولَئِكَ) بما تحمله من تنويه، وتعظيم كما فعل في جانب المؤمنين ؛لكونها ليست مقصودة بذاتها، وإنما آثر السياق تعديد الصلة بالجمع بين الإيمان، والهجرة، والجهاد المعبر عنه بصيغة الماضي تحقيقًا لمعاني الترقي في بيان الفضل وذلـــك بالانتقال من الفعل القلبي بـــ(الإيمان) بما يحمله من طمأنينة وسكينة[٤]، إلى العملي الظاهر بـــ(الهجرة) بترك ومغادرة البلدان[٥]، إلى ما يجمع بينهما من جهاد للنفس، وجهاد للكفار، وذلك بأصل دلالته على المشقة[٦] ، ولا يبعد أن يكون المقصود من إطلاق الإيمان، والهجرة، والجهاد دون تقييد تحقيق ذلك ظاهرًا وباطنـــا، وكأنهـــا دلالات العموم، والدوام ، والاستمرار التي جاءت (الفاء)بارتباطها بالخبر الاســـمي في نهاية السياق لتقررها، يؤيد هذا إطلاق السياق للجهاد دون التقييد الذي فعله في سابقيه فلم يقيده بقوله في سبيل الله أو بالأموال والأنفس كما فعل في سابقيه، وكأنه دعوى إلى عمومية هذا الفضل في كل زمان، ومكان وهو ما نص عليـــه الســـياق بتعبيره –كما سبق بالمعية–، فضلًا عن البعدية التي تكون فـــي الزمـــان والمكـــان

١–ينظر: المفردات ص٤٧٠

٢– ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/٢٧٣ (مع)

٣–سورة الأنفال من الآية (٦٠)

٤– ينظر: المفردات ص ٢٥

٥–ينظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٣٤ (هجر)، والمفردات ص٥٣٦،٥٣٧

٦–ينظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٨٦ (جهد)

وغيرهما[١]، وإطلاقها دون إضافة بقوله –تعالى–:(آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا)، وكشف عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ »[٢]،المؤيد للأفضلية الممثلة بارتباطها بـ(الفاء) لأعلى المراتب، وفي دلالات (مع) على ابتداء المصاحبة[٣] ما قد يدل على هذا، ويؤيده، وذلك باعتبار أن اللاحقين بإحسان هؤلاء هم من سيحملون أعباء الدعوة، ونشر الرسالة ، ولعل هذ هو وجه الأفضلية الذي اقتضى الربط بـ(الفاء)، وصورته لفظة (منكم) الدالة بإيجازها على أنهم منهم في كل شيء إحساناً وتوفيقًا، نصرًا وتأييدًا.

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد قول الله تعالى: { وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٤]

فالآيات الكريمات هذه من سورة الأحقاف بإيثارها لاقتران خبر الموصول الاسمي(فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) بـ(الفاء) كأنها تنبه، وتلفت الأذهان إلى عظم فضل، وعلو شأن درجات الطاعة التي كان عليها هؤلاء الموسومون بأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، ومن ثم بُنيت الآية على الاستئناف البياني بالتأكيد بـ(إنَّ) التي كأنها تريد أن تجعل من الطاعة والهداية جبهة تقف في وجه العناد والاستكبار الذي عرضت السورة الكريمة باتخاذها من الجدال والمحاجة صورا منه؛ ولهذا لم يجعلها خارجة من رحم ما سبقها من سياق بالوصف بقوله:(وبشري للمحسنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)؛ وكأنها أبت إباء عزة وكرامة، وشموخ

١–ينظر: الكليات ص ٢٣٥

٢– صحيح مسلم–تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري–ت: محمد فؤاد عبد الباقي–كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها– باب فيمن يود رؤية النبي بأهله وماله–٢١٧٨/٤–حديث رقم (٢٨٣٢) –ط: دار إحياء التراث العربي–بيروت.

٣–ينظر: الكليات ص ٨٣٨

٤ –سورة الأحقاف الآيات (١٢–١٤)

وعلو إلا الاستئناف والاستقلال، والبروز والظهور، ومن ثم جاء الاسم الموصول (الذين) ليتعانق بما يحمله من إيقاظ وتهيئة- بتضمنه لمعاني الشرط- مع التوكيد في تمييزهم أكمل تمييز، ورفع شأنهم، وإعلاء مكانتهم، والذي كأن التعبير بالماضي (قالوا) يسهم في تحقيقه، وإثباته، وتقريره ، وذلك بما فيه من إسناد القول إليهم مرتين، فضلًا عما يحمله-بأصل دلالته على النطق[١]-من تهيئة لمعرفة مقول القول، وكشف كنهه، والوقوف على فضله، والذي يجليه إيثار الربوبية على الألوهية، بما تحمله من معاني التربية والإنعام، والإجلال والإعظام، والسياسة والتدبير، والرعاية والعناية التي يشرفون بإضافتهم إليها، ومن ثم أخبر عنها بالاسم الأعظم (الله) ليجمع السياق بذلك بين صفات الرحمة واللين، والعزة والقوة في أعلى صورها التي يفيدها تعريف الطرفين والذي يقصر الربوبية هذه على كونها لله- سبحانه وتعالى- دون غيره ممن زعمه المشركون، وظنوا ربوبيته كذبًا وافتراءً، عتوًا واستكبارًا.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" وتعريفُهم بطريق الموصولية لما تؤذن به الصلة من تعليل كرامتهم عند الله لأنهم جمعوا حسنَ معاملتهم لربهم بتوحيده وخوفه وعبادته، وهو ما دل عليه (قالوا ربنا الله) إلى حسن معاملتهم أنفسهم وهو معنى (ثم استقاموا)، وجيء في صلة الموصول بفعل (قالوا) لإيجاز المقول وغنيته عن أن يقال: اعترفوا بالله وحده وأطاعوه، والمراد: أنهم قالوا ذلك واعتقدوا معناه إذ الشأن في الكلام الصدق وعملوا به لأن الشأن مطابقة العمل للاعتقاد"[٢]

وتناغيًا مع عناصر اللفت والتنبيه التي يفيدها تصدير الآية الكريمة بالتأكيد بـ(إنَّ) مقترنة بالاسم الموصول (الذين)، مع الاشباع بجملة الصلة الدالة على أن هذا شأن ظاهر جلي[٣]، رتب السياق الاستقامة على القول بالعطف بـ (ثم) الدالة

١-ينظر: المفردات ص ٤١٥

٢- تفسير التحرير والتنوير- ٢٦/٢٦، ٢٧

٣-ينظر: كتاب دلائل الإعجاز-تأليف: الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي- قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر- ص٢٠٠- الناشر: مكتبة الخارجي بالقاهرة، ومعاني النحو -للدكتور فاضل صالح السامرائي-ص١٢٤-ط: دار الفكر - عمان-الطبعةالأولى- ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.

على التراخي دون غيرها مما يؤدي معناها، ليشير إلى أن القول هذا في حقيقته لم يكن مجرد نطق باللسان، وإنما كان نتاج نظر وتأمل، وتفكر وتدبر، ورياضة وسلوك كأن السورة الكريمة تدعو إليه بتصدير آياتها بقوله-تعالى-:{مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[1]، وهو ما يعد بمثابة تأكيد وتقرير لما ورد في صدر سورة الجاثية من دعوة للتأمل والتدبر يصورها قوله-تعالى-:{ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ}[2]، وما تلاها من آيات، يؤيد هذا ما يفيده القول من اعتقاد للشيء، ودلالة عليه، وعناية به[3].

فالتأمل والتدبر الذي كأن (ثم) هذه بدلالتها على التدرج الرتبي تشي به، كأنه هو الذي جعل إخلاص الطاعة، والإيمان، والتقوى يسري إلى جوارحهم فتستقيم، وتستقيم بها أعمالهم، وعباداتهم، من صلاة وصيام، وزكاة وحج، وصدقة وبر وغيرها من أعمال، وعبادات كأن السياق قصد إليها من وراء إيثارها بارتباطها بالأمور الحسية والمعنوية[4] وإطلاقها دون تقييد، وهو ما جاءت (الفاء) لتقرره، وتنبه عليه بارتباطها بالجملة الاسمية الملائمة بما تحمله من دلالات الاستمرار والدوام، مع دوام واستمرار هذه الأعمال فضلًا عن عمومها وشمولها للظاهر والباطن، وهو ما يفيده نفي الخوف والحزن[5]، والذي كأنه يقرر من وراء إيثاره لصيغة المضارعة (يحزنون) المخبر بها عن الضمير (هم) أن الأصل في تقبل الأعمال إنما هو الإخلاص المقترن بالتستر، والإخفاء.

١-سورة الأحقاف الآيتان (٣، ٤)

٢-سورة الجاثية الآية (٣)

٣-ينظر: المفردات ص ٤١٥

٤-ينظر: الكليات ص ٧٣١

٥-ينظر: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي-ت: عبد القادر أحمد عطا- ١/ ٤٠٠-ط: مطبعة السعادة – القاهرة.

يقول البقاعي:" ولما كانت الاستقامة – وهي الثبات على كل ما يرضي الله مع ترتبها على التوحيد – عزيزة المنال علية الرتبة، وكانت في الغالب لا تنال إلا بعد منازلات طويلة ومجاهدات شديدة، أشار إلى كل من بعدها وعلو رتبتها بأداة التراخي فقال: {ثم} أي بعد قولهم ذلك الذي وحدوا به {استقاموا} أي طلبوا القوم طلباً عظيماً وأوجدوه، ولما كان الوصف لرؤوس المؤمنين ، عد أعمالهم أسباباً فأخبر عنهم بقوله:{فلا خوف عليهم } أي يعلوهم بغلبة الضرر، ولعله يعبر في مثل هذا بالاسم إشارة إلى أن هيبته بالنظر إلى جلاله وقهره وجبروته وكبره وكماله لا تنتفي ، ويحصل للإنسان باستحضارها إخبات وطمأنينة ووقار وسكينة يزيده في نفسه جلالاً ورفعة وكمالاً، فالمنفي خوف يقلق النفس { ولا هم } في ضمائرهم، ولا في ظواهرهم { يحزنون } أي يتجدد لهم شيء من حزن أصلاً"[١]

وفي هذا ما فيه من تعظيم كأن السياق قد قصد إليه بإيثاره التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أولئك) والذي كأنه جاء ليشير إلى أن الخوف والفزع المنفي هذا إنما يكون في الدنيا لارتباطه بالاستقامة الحسية والمعنوية، الظاهرية والباطنية وهو ما جاءت (الفاء) في الجواب لتشي به، فضلًا عن أن تؤكده، وفي إخباره عن المبتدأ بقوله:(أصحاب) دون (أهل) ما يلائم الملازمة والمداومة[٢] على الأعمال، والطاعات الحسية والمعنوية التي تلح عليها المعاني، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء دلالات الملكية التي تفيدها المصاحبة هذه نتيجة طول ودوام التلبس بالجنة، والاستقرار فيها، وفي الإضافة إلى (الجنة) خاصة –بأصل دلالتها على الستر[٣]– ما يلائم غايات التستر والإخفاء المرتب عليها الفضل، والذي وشى به الإشباع بالإخبار بالجملة الفعلية في (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، الدال على تجدد نفي الحزن عنهم بتجدد استقامتهم، واستمرارها ، وهو ما أوجب الجزاء بالخلود في الجنة المعبر عنه بقوله–تعالي–:(خَالِدِينَ فِيهَا) بأصل دلالته على الملازمة، ومن ثم قيده بـ(في) الظرفية المكانية؛ ليؤكد مع دلالات الاستقرار، أنهم في صدارة الجنة،

١–نظم الدرر ١٢٥/٧، ١٢٦

٢–ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٣٥/٣ (صحب)، والمفردات ص ٢٧٥، والكليات ص ٥٥٨

٣–ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٢١/١(جن)، ولسان العرب–تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري–٩٢/١٣ (جنن)– ط: دار صادر–بيروت–الطبعة الأولى، والمفردات ص ٩٨.

ومقدمتها، وأعلى درجاتها؛ ولهذا عبر بالجزاء خاصة ليدل عل عظمه ، وعظم فضله[١] الذي كأنه يناغي عظم الاستقامة، وعظم فضلها المرشَّح له بالتصدير بـ(إنَّ)، والمدلول عليه بالعطف بـ(ثم)، مع الاقتران بـ(الفاء)، وفي دلالات الإلصاق والملابسة المفادة من الباء السببية في (بما) ما قد يشي بهذا ،ويدل عليه، ومن ثم أشبع الحديث عنه بالاسم الموصول وصلته بقوله-تعالى-:(بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

فالتعبير بالاسم الموصول (ما) الموضوع لغير العاقل في هذا السياق كأنه جاء ليناغي دلالات العموم التي تلح عليها المعاني، ومن ثم لفت الذهن إليها باستخدامه للفعل الناسخ (كان) -والذي كأنه يناغي الفعل (قال) و(استقام) في تأكيد تحقق الوقوع-، والإخبار عنه بجملة (يَعْمَلُونَ)الموضوعة لكل فعل يفعل[٢]، والدالة بكونها عن قصد[٣] على الإصرار، والعزيمة، والرغبة التي تدعو إليها، وتلح عليها، والتي كأن الألفاظ نفسها تشارك في ذلك كما هو مفاد التأكيد بـ(إنَّ)، والتعبير بالاسم الموصول، والربط بـ (الفاء)، والإشباع بالفعل الناسخ، فضلًا عن أنها بما تحدثه من أثر في الشيء[٤]كأنها تناغي الاستقامة الناتجة عن إخلاص الطاعة، والتقوى، وتكرار مراقبة النفس[٥] سواء أكانت هذه الاستقامة حسية أم معنوية، ولعل المبالغة في استحضار ذلك هي التي تكمن وراء إيثار السياق لصيغة المضارعة بما تحققه من دلالات التجدد الاستمراري، والتي تؤكدها صيغ المضارعة(تتنزل – تخافوا- تحزنوا-توعدون) في قوله -تعالى- في سورة فصلت:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[٦]، والذي يعد من مشتبه النظم القرآني، والذي كأنه يعد بمثابة مراتب تكشف عنها الكلم والعبارات.

١-ينظر: المفردات ص ٩٣

٢-ينظر: معجم مقاييس اللغة ١٤٥/٤(عمل)

٣- ينظر: المفردات ص ٣٤٨

٤- ينظر: الفروق اللغوية ص ١٤٣

٥-ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٨٢/٢٤،٢٨٣

٦-سورة فصلت الآية (٣٠)

فتنزل الملائكة بما يحمله من تشريف، وتأييد يشي بـه التقييـد بـ(على)، والتعريف بـ(أل) كأنه يدل على أن قوله- تعالى -: (قالوا ربنا الله) والـذي يعـد أول مراتب الطاعة، إنما هو الذكر، والتضرع، والتبتل، والذي يعد الـتلفظ بكلمـة التوحيد، وتلاوة القرآن الكريم من أعظم صوره ، وفي هذا إشارة إلى أن ذكر الله- عز وجل- بكل صوره، وأشكاله هو رياضة النفوس التي تصل بها إلـى التـدبر والتأمل المحقق للطاعة، والاستقامة، والتي تصورها المداومة المنصوص عليها في قوله -تعالى-:{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْـقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[١]

فالآية الكريمة هذه بترتيبها التفكر في خلق السماوات والأرض على الـذكر كأنها تلائم ما صدرت به سورة الأحقاف من دعوة إلى ذلك بقولهـا: {مَـا خَلَقْنَـا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّـا أُنْـذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، وفي هذه إشارة إلى أن المقصود بالذكر في هذه السورة المعبر عنه بقوله-تعالى-:{قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} إنما هو القرآن الكريم الذي اتخذت السورة من المجادلة به سـبيلًا لتقرير فضائله بقوله-تعالى-:{وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُـوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}[٢]، وهو ما احتفلت السورة بتأكيده بجملة الصلة الدالة على كون هذا ظاهرًا جليًا لا ينكره منكر، ولعل في (القول) بدلالته على النطق، مع التصريح بالدعوة الموسومة بالحسن في سورة فصلت بقوله-تعالى-:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّـنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}[٣]ما قد يلائم ذلك، ومبالغة في ذلك جاء الربط بـ(الفاء) في هذا المقام الذي يعد من أعلى مراتب تقرير فضائل القرآن الكريم، وكأنه يلائم بترتيبه السياقي ختم القرآن ونهاياته، مما يعد سمتًا لمقامات الاقتران بـ (الفاء) في مشـتبه الـنظم القرآني.

١-سورة آل عمران الآية (١٩١)

٢-سورة الأحقاف من الآية (١٢)

٣-سورة فصلت من الآية (٣٣)

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد قول الله -تعالى-{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }[1]

ففي مقام الوعد هذا جاء خبر الموصول (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقترنًا بـ(الفاء) ليكشف عن عظم الثواب الذي سيحظى به المؤمنون جزاء تمسكهم بهديه -سبحانه وتعالى-، والسير على نهجه، رغم تبدل الحال، وضعف الجثمان، ووهن الأبدان المنصوص عليه (بأسفل سافلين)، والذي اختلف المفسرون في بيان المقصود به هل هو العذاب الموعود على الكفر والعصيان، أم تقدم العمر، ووهن البنيان[2]، وأظنه-والله أعلم- الموت والهلاك الذي يستوي فيه الصالح والطالح، وأحسب أن السياق بهذا يشير إلى أن الكبر، والعجب الناتج عن حسن التقويم المشار إليه، عاقبته -في الحقيقة- التراب الذي لا ينبغي لمن يكون هذا هو أصله التكبر، والاستعلاء، ومن ثم استدرك بأداة الاستثناء (إلا) ليكشف عن دور العبادة والطاعة، التي كان من أجلها الخلق والتحسين الذي اقتضى تسخير كل ما في الخليقة له، ولعل هذا هو ما تقصد إليه المعاني من وراء استيقاف النفوس بالاستثناء، ثم بالإتيان بالاسم الموصول (الذين) الكاشف عن الكمال الذي كأنه يلائم الحسن المصرح به، ومن ثم رتب عليه بجملة الصلة (الإيمان) الدال على نقاء السريرة مصحوبًا بالعمل المترجم لها في الواقع؛ والذي كأنه يجمع بين حسني المخبر والمظهر، وهو ما أكَّده السياق بالوصف بـ(الصالحات)، التي كأنها بتلبسها بأعمال البر والخير صلحت بأن تقوم مقامها، وأن يعبر بها عنها، والتي كأنها تناغي حسن الخلقة الحسية والمعنوية التي فطر عليها الإنسان، ومن ثم اعتنى السياق بالإتيان بها في جواب القسم الذي تعددت صوره، وتمددت أركانه بارتباطه بمواطن الرسالات في مختلف الأزمان[3]، ومن ثم قرن السياق (اللام) بـ (قد) التحقيقية، وعبر بالفعل الماضي(خلق) المؤكد لتحقق الوقوع، والذي يدل بأصل

١- سورة التين الآيات (٤-٦)

٢-ينظر: تفسير أبي السعود ٥/٥٥٠، والكشاف ٦/٤٠١، ونظم الدرر ٨/٤٧٣، ٤٧٤

٣- ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٢١ وما بعدها.

مادته على إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، فضلًا أنه بكونه في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وفي القوى والسجايا المدركة بالبصيرة[١]، كأنه كأنه يناغي دلالات العموم التي تقتضي الربط بـ(الفاء)،ومن ثم أوقعه على الإنسان الشامل للبدن والروح كما ذهب إلى ذلك المتكلمون[٢]، وقيده بالأحسنية بقوله (في أحسن تقويم)، لكونها بالبصر والبصيرة، وفي الأعيان والأحداث[٣]؛ولعل هذا هو وجه التقييد بـ (في) الدالة على تمكن الحسن منه، واستقراره فيه ظاهرًا وباطنًا، مما يكشف عن الأفضلية المقتضية للتعبير بصيغة التفضيل أحسن، والمشبعة بالإضافة إلى قوله:(تقويم) الذي يشي- مع دلالته على العناية والاهتمام- بكونه عن اعوجاج[٤] يكشف عن النقص المرتبط بهذا الخلق ، والذي لا يليق بمثله التكبر والاستعلاء، ومن ثم كان ممهدًا للذنوب والمعاصي المعبر عنها (بأسفل سافلين) باعتبارها أسباب دخول النار، والمكث فيها، ولعل هذا ما قصد إليه المعنى من وراء التعبير بـ(الرد) خاصة، وذلك بكونه إلى الحالة التي يكون عليها[٥]، فضلًا عما يحمله من كراهة كأنها تناغي قبح الفعل[٦]، وإنما عبر بالفعل (ردد) دون (ردَّ)؛ ليشير إلى تجدد، وتكرار ذلك من الإنسان[٧]، وكأنه بهذا يلائم أصل الخلقة القائمة على الفطرة السليمة[٨]، والتي تنافي الحقارة والرزالة المعبر عنها بصيغة أفعل التفضيل (أسفل) المضافة إلى الجمع المجرد(سافلين)، والذي كأنه يلائم بتجريده من (أل) الحقارة والنذالة التي يصبحون فيها بتنكبهم لطريق الهداية، وحرصهم على المعاصي والذنوب، ولعل هذا هو وجه الإشباع الذي يلوح من إضافة (أسفل)إلى (سافلين) والتي كأنها تقابل قوله-تعالى-(أحسن تقويم) ما سوَّغ إلى الإتيان بـ (إلا) التي كأنها -كما سبق- تستوقف النفوس عندها لتدرك فارق ما

١-ينظر: المفردات ص١٥٧،١٥٨

٢-ينظر: الكليات ص١٩٨

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٦٢، والمفردات ص١١٩

٤-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢١١

٥- ينظر: المفردات ص١٩٢

٦- ينظر: الفروق اللغوية ص ١١٤

٧- ينظر: المفردات ص ١٩٢

٨- ينظر: تفسير التحرير التنوير ٣٠/ ٤٢٧

بين الحالين، ومن ثم جاء التعبير بالاسم الموصول وصلته التي تمددت بالعطف ، والوصف لتلفت الذهن إلى هذا العمل وما ترتب عليه من جزاء، كأنه بارتباطه بـ (الفاء) يكشف عن عظمه، ويجلي فضله، وهو ما يصوره السياق بقصر هذا الأجر الموسوم بعدم القطع علي كونه لهم دون غيرهم بسبب هداهم، وسيرهم على سنن الفطرة السليمة التي فطر الإنسان عليها؛ ولهذا عبر بالأجر الذي لا يكون إلا عن عمل، ولا يكون العمل المتلبس به إلا نافعًا[1]، فضلًا عن أنه بكونه عن عقد أو ما يجري مجراه[2]كأنه يكشف عن الالتزام بطاعة الله تعالى، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، مما يرشح إلى أن الرد إلى (أسفل سافلين) المنصوص عليه في هذا المقام كأنه ما هو إلا الإخراج من الجنة الكائن لسيدنا آدم وزوجه باعتبارهما أصل الخليقة، ولعل هذا هو وجه الإفراد بقوله:(الإنسان) وما عاد عليه من ضمائر في (رددناه)، ومن ثم وسم المولى-سبحانه تعالى- هذا الأجر بكونه غير مقطوع، وكأنه بذلك يلائم استمرارية الطاعة المنافية لانقطاعها من سيدنا آدم بأكله من الشجرة، وهبوطه من الجنة، ولعل هذا هو وجه المغايرة المنصوص عليه بـ(غير)، والمفيد بإضافته إلى (ممنون) لكونه مطلقًا غير مشروط أو مقيد، فضلًا عن أن تنوع دلالات قوله:(غير ممنون) على القطع تارة أو النقص أخرى أو العدد ثالثة [3]كأنه يكشف عن عظم هذا الأجر، ولعل هذا هو وجه التنكير الدال بكونه غير مقطوع على دوامه واتصاله، والدال بكونه غير منقوص على ضخامته وعظم حجمه ، والدال بكونه غير معدود على تنوعه وكثرته.

فالسياق بهذا التنوع الدلالي كأنه يلائم دوام الأعمال، وعظمها، وكثرتها، التي تؤكد دلالات العموم التي اطرد ارتباطها باقتران خبر الموصول بـ (الفاء) والتي كأنها تصف أعلى مراتب الطاعة والإيمان التي كان عليها هؤلاء.

يؤيد هذا تجريد الخبر الاسمي من الاقتران بـ(الفاء) رغم تشابه النظم في قوله -تعالى-:{فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ

١-ينظر: المفردات ص١١

٢-ينظر: المفردات ص١١

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص١٩٧

طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[١]

فتجرد الخبر (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) من الاقتران بـ(الفاء) في هذا السياق مع أنه من مشتبه النظم القرآني كأنه يرجع إلى أن المقام هنا مقام وعيد وتهديد، وليس مقام وعد وترغيب يشعر بهذا بسط الحديث عن أهل الكفر، وتصوير حالهم باعتبار أن أصل الحدث قائم عليهم، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء استحضار هذا المشهد بصيغ المضارعة في(لَتَرْكَبُنَّ- لَا يُؤْمِنُونَ- لَا يَسْجُدُونَ- يُكَذِّبُونَ- بِمَا يُوعُونَ)،ومن خلال هذا يتبين أن ذكر المؤمنين في هذا السياق كأنه من باب الاستطراد زيادة في التهكم بهم، والإذلال لهم.

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد قول الله -تعالى-{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}[٢]

ففي مقام الوعد هذا جاء خبر الموصول الاسمي (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) مقترنًا بـ(الفاء)؛ ليتعانق مع ما يتسم به هذا السياق الجزئي من إشباع يصور الدرجة الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها من يخلع ربقة النفاق، وذلك بالبدء بالتوبة التي تعني ترك الذنب على أجمل الوجوه، باعتبارها أبلغ وجوه الاعتذار[٣]؛ لكونها عن إقرار واعتراف بالذنب، وأنه لا عذر له فيه[٤]، وهذه هي أولي درجات الإصلاح النفسي المنصوص عليها بجملة (وَأَصْلَحُوا) المرتبة علي التوبة بالعطف بـ

١-سورة الانشقاق الآيات (١٦-٢٥)
٢-سورة النساء الآيات (١٤٤-١٤٧)
٣-ينظر: المفردات ص ٧٦
٤-ينظر: الفروق اللغوية ص٢٣٤

(الواو) التي كأنها تدعو إلى الجمع بين هذه الخلال، التي أطلقت عن التقييد لتشمل الإصلاح الداخلي والخارجي، الشخصي والمجتمعي، وكأنها في حقيقتها بمثابة ترجمة للتوبة، وتحقيق لها، ولعل هذا هو وجه العناية الذي يلوح من الإتيان بها في إثبات مستقل، وبصيغة (الإصلاح) التي كأنها تحقق مع عدم تقييدها بعمل لملامح العموم التي تكون بالتمكن من الخير، والتخلص من الشر[١]، ومن ثم رتب عليه (الاعتصام) بقوله:(وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ)، وكأنه بأصل دلالاته على الإمساك، والمنع، والملازمة[٢]يراعي التمسك بأوامر الله-تعالى-، والتجنب لنواهيه، والمداومة على ذلك، وقيد الاعتصام بكونه (بالله) دون (بحبل الله) كما ورد في قوله -تعالى-:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) لاختلاف المقام؛ لأن المقام المقيد بـ(الحبل) مقام خطاب للمؤمنين، ودعوة لاتحادهم، وهذا بخلاف المقام موضع الدراسة فقد ورد في سياق التخلص من النفاق، ونبذه، وطرحه، وهذا في الحقيقة لصعوبته لا يتحقق إلا بالتعلق بالله مباشرة، وكأنه دعوة إلى مراقبة الله -تعالى- في كل شأن من شئونهم الحسية والمعنوية، الظاهرية والباطنية، الدينية والدنيوية، ولعل هذا هو وجه الإلصاق الذي تنبض به (الباء) المرتبطة باسم (الله)الأعظم، وكأنه باعتبار كونه لا يسمي به غير الله -تعالى-[٣]، أدعى إلى قطع الشركة التي يصورها حال المنافقين بتذبذبهم بين هؤلاء وهؤلاء، كما وصفهم القرآن الكريم بذلك، والذي تؤكده دلالات الماضي في (تابوا- أصلحوا-اعتصموا-أخلصوا)، ولعل هذا هو وجه الإخلاص المصرح به لقيامه على التبرؤ من عبادة غير الله -تعالى- ، واتباع غير دينه[٤]، وأحسب أنها درجة أعلى في الطاعة والانقياد، لارتباطها بالصفاء، ودلالتها عليه[٥]، فضلًا عن أنَّها بكونها بعد تثقيف وتنقية[٦]تلائم

١-ينظر: الفروق ص٢١١

٢-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٣١/٤ (عصم)

٣- ينظر: المفردات ص ٢١

٤- ينظر: المفردات ص ١٥٥

٥- ينظر: المفردات ص ١٥٤

٦-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٠٨/٢ (خلص)

ما مازجها من أدران النفاق وما ارتبط به من رياء كان بمثابة شوب يذهب به، ومن ثم قيده بالدين لأنه هو الذي يكشف عنه، ويدل عليه، وذلك بظهوره في عباداته، ومعاملاته.

يقول الراغب:" والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة"[١]

وأظن أن السياق بتعبيره عن الطاعة بالدين هنا يقصد اعتيادها، وتوطين النفس عليها[٢]، بحيث صارت سجيتها وطبيعتها، وكأن التوبة، والإصلاح، والاعتصام بالله هذا قد كان مهادًا لها حتى تبلغ أعلى المراقي، وتصل أعلى الدرجات، والتي يعد الاقتران بـ(الفاء) وسيلة من وسائل تقريرها، والعناية بإظهارها، تشعر بهذا إضافة (الدين) إليهم، فهذه الإضافة تشي بأن إخلاص الدين لله قد أصبح طبعهم، وصار ديدنهم، ومن ثم قيده بكونه (لله) الذي ينفي مشاركتهم لأحد في هذه الطاعة، وتلك العبادة، مما يلائم الإخلاص الذي تدعو إليه الآيات، بعد تحذيرها من النفاق، وتوعدها للمنافقين.

والسياق بتقييده الاعتصام، والإخلاص بكونه لله، دون التوبة، والإصلاح كأنه يلائم الترقي في درجات الفضل والإيمان بالتعلق بالله، تنويهًا بشأنهم، وإعلاء لدرجتهم التي تقررها (الفاء) باقترانها بجملة الخبر المصدرة باسم الإشارة الموضوع للبعيد، والتي كثر اقترانها بها في مقامات الترغيب، والتعظيم.

وملامح التعظيم والتنويه التي ينبض بها السياق كأنها هي التي اقتضت الإخبار عن المبتدأ (أولئك) بجملة (مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) دون (من المؤمنين) لأن (مع) مع دلالتها على ابتداء المصاحبة تكون في المكان، والزمان، والدرجة، والمنزلة[٣]، وبذا تستطيع تحقيق دلالات العموم التي يفيدها السياق بالجمع بين التوبة والإصلاح، والاعتصام والإخلاص، والتي تشي بها (الفاء) الرابطة لجملة الخبر، الملائمة

١- المفردات ص ١٧٥

٢-ينظر: الفروق اللغوية ص٢٢١

٣-ينظر: المفردات ص ٤٧٠

للتنويه والتعظيم الذي تفيده مع التعبير بـ(مع) الظرفية الإضافة إلى (الْمُؤْمِنِينَ) بتمثيلهم لأعلى درجات التقوى النابعة عن الرضا والسكينة والطمأنينة، والتي كأنها استطاعت أن تنافي درجات القلق والتوتر المفادة من الذبذبة والتردد الذي كان عليه المنافقون كما صرحت بذلك الآيات، ولعل هذا هو وجه إعادة ذكر (المؤمنين) في جملة الحال المصدرة بحرف التسويف الموضوع للبعيد(سوف)،والذي يسهم بدوره في تهيئة النفوس، وشحذ الأذهان لتدرك عظيم الأجر المعد لهم؛ ولهذا عبر بـ(الإيتاء) الذي لا يحق لأحد منعه[1]، وأسنده إليه سبحانه وتعالى باسمه الأعظم بوضع الظاهر موضع المضمر تنويهًا به، وتعظيمًا له.

والسياق بتعريفه المؤمنين بـ (أل) الدال على كمالهم في هذا الوصف، كأنه يلائم التعريف بالاسم الموصول (الذين) المصدر به هذا الوعد، والذي يغلب عليه جانب القطع باعتبار أنه لا توجد ثمة علاقة تربط بين هؤلاء المؤمنين، وما كانوا عليه من نفاق صورته الآيات، ورصدته الأحداث، وأن يكون التعبير بـ (إلا) الاستثنائية ما هو إلا وجه من وجوه التهيئة، والتي يعد تضمين الاسم الموصول معني الشرط صورة من صوره، وقد يُحمل الاستثناء على الاتصال وتكون الغاية حينئذ هي المبالغة في رصد الحالتين، وتصوير المشهدين ترغيبًا وترهيبًا.

وفي تنكير (الأجر) مع إيثار التعبير به ما يلائم التعظيم والتنويه الذي تقصد الآيات إلى تقريره، والوقوف على آثاره؛ وذلك لأنه بكونه عن عقد أو ما يجري مجراه[2] آكد في تقرير الحق، وتثبيت أركانه، فضلا عن أنه بارتباطه بالنفع يناغي التوبة والإصلاح، والاعتصام والإخلاص المنصوص عليه؛ ولهذا صرح بوصفه بـ(العظيم) الشامل للحسي والمعنوي، المتصل والمنفصل، الكثير والكبير.[3]

١- ينظر: معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبى هلال العسكري وجزءًا من كتاب السيد نور الدين الجزائري –تنظيم: بيت الله بيات –ص ٨٧–ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

٢- ينظر: المفردات ص ١١

٣- ينظر: الفروق اللغوية ص١٨٣، والمفردات ص ٣٣٩

والسياق بذكره للاسم الموصول (الذين)، وتمديده لجملة الصلة بالعطف بما تصوره من ترقٍ في درجات الطاعة والإيمان، ثم بالتعبير بجملة الخبر المقترنة بـ(الفاء)، مع ما ترتب عليها من جملة(وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)، كأنه يكشف عن عظم أدواء النفاق المتمكنة في النفوس، باعتبارها أشد خطرًا على المسلمين من الكفر الصريح، وهو ما قصد السياق التنويه عليه من وراء عناصر التوكيد المتمثلة في تصدير جملة (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) بـ(إنَّ)،واسمية الجملة، وتعدد القيد بقوله:(فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ)ثم بقوله:(مِنَ النَّارِ)، مع دلالات التأبيد المفادة من (لن) النافية لحصول النصير لهم، فكل هذه العناصر التعبيرية هي في الحقيقة كأنها تكشف عن عظم الجرم المترتب على هذا النفاق، ومن ثم كان التخلص منه في حاجة إلى عزيمة قوية، وإصرار متناهٍ، صورته جملة الصلة وما ترتب عليها من جمل كأنها في الحقيقة تنزع هذه الأدواء داءً داءً، لتصل بأصحابها إلى الدرجة التي تجعلهم في زمرة المؤمنين ، وتحت رايتهم، ومن ثم كان في التعبير بالاسم الموصول (الذين) وما ارتبط به من جزاء صوره اقتران الخبر بـ(الفاء) بناء على أن الاستثناء هنا منقطع، ما يعد لبنة من لبنات بلوغ هذه الدرجة الإيمانية العظيمة.

وفي عدول السياق عن التعبير بالاسم الموصول (الذين) إلى التعبير (من) في قوله –تعالي– (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا)[1]، ما يكشف لنا عن عظم النفاق، وعظم خطره، فالتوبة، والإيمان والعمل الصالح في هذه الآيات وإن كان بعد إضاعة الصلاة، وإتباع الشهوات، وإن اقترن خبر الموصول فيه بـ (الفاء) إلا أن السياق لم يأت بالاسم الموصول (الذين)، وإنما جاء بـ (من) الموصولة ليلائم كون هذه المعصية قاصرة على أصحابها لا تتعداهم إلى غيرهم، وهذا بخلاف مقام النفاق فإن معصية المنافقين لما كانت تتعداهم إلى غيرهم من أفراد المجتمع ناسب هذا التعبير بصيغة الجمع (الذين)

١–سورة مريم الآيتان (٥٩–٦٠)

لتلائم دلالات العموم التي تقصد إليها المعاني، من وراء وصف وتصوير عظم الأدواء الناتجة عن النفاق ، ولعل هذا هو سر العدول عن التعبير بالاسم الموصول(الذين) إلى التعبير بالاسم الموصول(من) في قوله –تعالى–{ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا *يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }[1]، وقوله –تعالى–{ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[2]، وقوله –تعالى–{ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}[3].

فالمتأمل في هذه السياقات المتعددة، وإن كانت من مشتبهات النظم القرآني، فإنه يلحظ أنها قد ارتبطت بذنوب ومعاصي فردية خاصة قاصر ضررها على أصحابها، وإن بلغ في عظمه درجة الكفر والإشراك كما في قوله تعالى (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)، ولهذا عدل السياق في جميعها عن التعبير بالاسم الموصول(الذين) إلى الاسم الموصول(من) رغم اقتران خبره بـ (الفاء) وإتيانه في صورة جملة اسمية، وإشباع صلته، وتمديد أركانها ، وفي هذا إشارة إلى عظم النفاق، بما يحمله من معاضدة للكافرين، ومناصرة لهم حذر منها السياق القرآني بقوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا}.

ولهذا عندما تعدى الضرر إلى الغير، وكان سببًا في إشاعة الفاحشة التي لا تقل خطرا عن النفاق في تأخير المجتمع، وإفساده ، جاء التعبير بالاسم الموصول (الذين)، وذلك في قوله – تعالى–: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ

١–سورة الفرقان الآيات (٦٨–٧٠)

٢– سورة النمل الآيتان (١٠،١١)

٣– سورة سبأ الآية (٣٧)

شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[١]،ومثله مقام الارتداد عن الإسلام بما يمثله من خطر لا يقل عن النفاق، وإشاعة الفاحشة والذي صوره السياق بقوله:{ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[٢]،ولعل في ارتباط هذه الأحداث بالنفاق والمنافقين سواء أكانت في إشاعة الفاحشة، أو في الارتداد ما قد يكشف عن أسرار تشابه النظم، وما أحوج إليه من التقرير والتأكيد الذي يصوره التعبير بالاسم الموصول (الذين)، وما ارتبط به من جواب تمثل في صورة (الفاء) المقترنة بالجملة الاسمية، والمتلبسة بالتوكيد بـ (إنّ) وصيغ المبالغة (غفور-رحيم) مع التصريح بلفظ الجلالة (الله) بوضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقرير وتعظيم فضائل من يتخلص من أمثال هذه الأدران التي لا يكاد ينجو منها إلا من أراد به المولى -سبحانه وتعالى- خيرًا، وفي إيثار التعبير باسم الإشارة (ذلك) ما يلائم عظم هذه الأعمال، وعظم خطورتها على الأفراد والمجتمعات، وفي التقييد بـ(من) مع ملائمتها بما تمثله من إشباع في العبارة لمقام التأكيد الدال على عظم وخطورة هذه الأعمال التي تخلص منها هؤلاء التائبون إلا أنها تدعو بدلالتها على ابتداء الغاية إلى المسارعة في التخلص من هذه الأدران، وممن تلبس بها، وفي دلالات البعد المفادة من (بعد) الظرفية هذه[٣]ما يلائم بعد هذه الأعمال عن طريق الهداية، وسبل الرشاد، فضلًا عما تحمله من شوب الهلاك الملازم للأعمال التي تخلص عنها هؤلاء بالتوبة والإصلاح، وذلك بأصل دلالة مادتها على الهلاك.[٤]

ومما يؤكد أن تعدي الضرر إلى الغير هو الذي يكمن وراء إيثار التعبير بالاسم الموصول (الذين) المقترن خبره بـ (الفاء) دون (من) الموصولة قول الله –

١-سورة النور الآيتان (٤،٥)

٢-سورة آل عمران الآيات (٨٦-٨٩)

٣-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٨٦/١(بعد)

٤-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٨٦/١ (بعد)

تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ *إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ *خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}.(١)

فكتمان ما أنزل الله -سبحانه وتعالى- لما كان ضرره يتعدى إلى غير الكاتم بما يحدثه من تضليل وإلباس، وصرف وإبعاد عن طاعة الله تعالى، واتباع أوامره آثر السياق التعبير بالاسم الموصول (الذين) دون (من) ليدل على كمالهم في القبح والإثم، المقتضي للعن الله لهم، ولعن اللاعنين، واستثنى منهم التائبين، وعبر عنهم بالاسم الموصول (الذين) دون (من) ليدل على عظمهم وعظم أعمالهم الباطنة بالتوبة، والظاهرة بالإصلاح والتبيين، والتي كأنها تشمل الأعمال والأقوال، وكانت سببًا في تمديد جملة الصلة، وإطالة الحديث عنها ما سوغ إلى الربط بـ(الفاء) التي كأنها تجذب الذهن إلى عظيم الجزاء المرتب على هذه الأعمال، والتي كأنها تقابل عظيم جزاء الكتمان والكفر السابق واللاحق لهذه الدرجة الإيمانية العالية، والتي كأنها تشير إلى أن إعلان التوبة والطاعة، والإصلاح والتبيين قد كان زمن إحاطة الكفر بهم، وتكالب المشركين عليهم مما لاءم التعبير عنهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أولئك)، تمييزًا لهم أكمل تمييز يدل على ارتفاع منزلتهم، وعلو مكانتهم، والتي يساندها ورود الإخبار عن ذلك على لسان المولى- سبحانه وتعالى- بالفعل(أتوب) دون (يتوب) إجلالًا، وتكريمًا لهم، يظهره التقييد بـ(على) بما يحمله من تشريف، وشمول، واستيعاب لا يحققه التقييد بـ (عن)، ويؤكده السياق بإعادة التعبير بضمير المتكلم (أنا) بما يحمله من دلالات الكمال، والعزة، والسلطان، والتي يسهم في تجليتها، والدلالة عليها التعبير بصيغ المبالغة المعرفة بـ (أل) في (التواب) و(الرحيم)، والتي تقصر التوبة والرحمة عليه -سبحانه وتعالى- دون غيره ممن لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا، وهو ما قصد السياق اللفت إليه من

١- سورة البقرة الآيات (١٥٩-١٦٢)

وراء تجريد أخبار (الذين) السابقة واللاحقة من الاقتران بـ(الفاء)، رغم عظم جرم وخطورة الأعمال التي يقومون بها، و عظم ما ترتب عليها من جزاء صوره السياق، وكشف عنه، مما يرجح حمل الاستثناء علي الانقطاع الملائم لكشف وعرض صور التباين بين الموقفين ترغيبًا وترهيبًا، وأن يكون التعبير به ما هو إلا سبيل من سبل التهيئة والإيقاظ، وقد يكون في الاتصال إشارة إلى خروج هذه الدرجة الإيمانية من رحم الكفر، والعناد، والاستكبار، ويكون الاستئناف بـ (الفاء) ما هو إلا سبيل من سبل إظهار عظم الجزاء، وعلو المكانة، وعلي أيٍ ففي الربط بها تنويه بشأن هؤلاء التائبين المصلحين، ورفع لدرجاتهم، والذي يصوره استحضار التوبة بصيغة المضارعة (أتوب) الدالة على تجددها لهم بتجدد توبتهم، وإصلاحهم، وبيانهم، وسيرهم على طريق الهداية والدعوة، والإرشاد والتوجيه مما أوجب لهم عظيم المغفرة المصورة بصيغ (التواب) و(الرحيم)، وترداد ذكر التوبة، ثم إن التعبير بصيغة المضارعة بدلالتها على التجدد الاستمراري كأنها تناغي تجدد، وترداد اللعن لهم من الله –سبحانه وتعالى– ومن الناس المصور بقوله:(أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ)، بتنكبهم لطريق الهداية، وسيرهم في طريق الغواية؛ ولهذا عندما نص السياق على الكفر والموت عليه المقتضي للثبوت عدل عن اللعن بصيغة الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية بقوله:(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) التي تقصر لعنة الله والملائكة والناس أجمعين عليهم دون غيرهم، مبالغة في تهويل شأن هذا العذاب الواقع بهم، والذي لا يحظى بتخفيف، ولا يكون له إنظار أو تأخير، وذلك بكونه خالدًا سرمدًا شأنه شأن اللعن الملازم لهم، والمتلبس بهم بدلالات الاستمرارية المفادة من الاسمية، والمؤكَّدة بنفي التجدد المتلبس بدلالات الفعلية في قوله –تعالى–(لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ).

المبحث الثاني

مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعيد

لقد اعتمد الأسلوب القرآني في التوجيه والإرشاد على جانبي الوعد والوعيد مراعاة لأحوال النفس الإنسانية التي تختلف باختلاف المقامات، وتتبدل بتغير الأحوال، باعتبار أن منها ما يجدي معه الوعد، ومنها ما يجدي معه الوعيد، وذلك رغم اتحاد الأسلوب الذي يلوح من وراء التعبير بالاسم الموصول، والإخبار عنه بالجملة الاسمية المقترنة بـ(الفاء) والتي وردت في أربعة مواضع من جملة عشرة جاء فيه المبتدأ صريحا في الدلالة على الصلة.

فمن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعيد قول الله -تعالى-: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ *الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}[1]

المتأمل في هذا السياق الكريم يجد أن خبر الموصول الاسمي (فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) باقترانه بـ(الفاء) في مقام الحديث عن الكافرين دون المؤمنين، كأنه يراعي قيام هذه السورة الكريمة على التهديد والوعيد[2]، باعتباره الغرض الرئيس الذي تقصد إليه من وراء ابتدائها بنداء الناس عامة، وأمرهم بالتقوى، وتحذيرهم من زلزلة الساعة، وإخبارهم بأنها شيء عظيم في مخاطره، وأهواله.

فالعناية بتقرير هذه الملامح الدلالية كأنها هي التي اقتضت اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في هذا الجزء من السياق الذي كأنه يصور أعلى مراتب الكفر، والعناد، والاستكبار التي اتسم بها هؤلاء، والتي يصفها الجمع بين الكفر والتكذيب، والذي كأنه يحقق العناد والاستكبار في الظاهر والباطن، فالكفر بأصل دلالته على الستر والتغطية، فضلًا عن إطلاقه دون تقييد كأنه يكشف عن عموم هذا الكفر وشموله للكفر بالألوهية، والكفر بالنبوة، والكفر بالنعم والعطايا،

١- سورة الحج الآيات(٥٥-٥٧)

٢- ينظر: نظم الدرر ٥/ ١٣٠

واستحلال ما حرم الله[١]، وفيه دلالة على أن هذا ليس مجرد كفر، وإنكار فحسب، وإنما هو في حقيقته مع دلالته على الستر والتغطية مصحوب بسعي، وإلباس، وتعمية، وفي هذا تأكيد لجانب العمل الذي كأن السياق بقرنه بالتكذيب بدلالته على القول يريد أن يقابله، ولعله قول الزور المأمور باجتنابه بقوله:(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)[٢]،والمقابل به العمل المصور بالرجس من الأوثان، وإنما عبر السياق عن القول بالتكذيب دون الجحود أو الافتراء مراعاة لدلالات العموم التي تقصد إليها المعاني من وراء إطراد اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء)، وذلك لأن التكذيب يكون من العالم بالكذب[٣]، ويكون في مقام الإنكار وعدمه[٤]، وهذا بخلاف الجحود فيكون في مقام الإنكار[٥]، أما الافتراء فبكونه أخص من الكذب[٦] لا يحقق دلالات العموم التي تقصد إليها المعاني، والتي كأنها تؤكد السعي، والرغبة في الإلباس، والتعمية، فهي بورودها في غير مقامات الإنكار كأنها تشي بأن هذا التكذيب لم يكن للداعي فحسب، وإنما كان للداعي وغيره ممن لم تصله الدعوة، وذلك بالتدليس والتزوير، والافتراء والاختلاق ، وأن التضعيف هذا ما هو إلا صورة من صور الحرص، والإلحاح على منع الحق، ووأد ظهوره، والذي يفيده إيثار التعبير بـ(الآيات) الشاملة للمحسوس والمعقول، الظاهر والباطن[٧]، والذي كأن المعاني تقصد إليه من وراء جمعها، وتنكيرها رغم فضلها وشرفها المفاد من إضافتها إلى الضمير(نا) العائد على المولى- سبحانه وتعالى-، والمؤكد لتحققها وثبوتها وظهورها الذي تدل عليه بلفظها [٨]، والذي كأن الربط بـ(الفاء) بوروده في جواب الاسم الموصول بتضمنه لمعاني الشرط ينبه عليه،

١- ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٢٨، والمفردات ص ٤٣٣،٤٣٤

٢-سورة الحج من الآية (٣٠)

٣- ينظر: الكليات ص ٦٥٦

٤- ينظر: الفروق اللغوية ص ٤٧

٥-ينظر: الفروق اللغوية ص٤٦

٦- ينظر: الكليات ص ٦٥٦

٧- ينظر: الكليات ص ٢١٩

٨-ينظر: الفروق اللغوية ص٧١

ويؤيده، ومن ثم اقترنت باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أُولَئِكَ)؛ الذي يشير إلى بعدهم عن جادة الصواب، وطريق الهداية، وسبيل الرشاد؛ لتلبسهم بالشر، والفساد[١]،المعبر عنه بالشقاق الموسوم بالبعد بقوله-تعالى-{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}[٢]، والذي تصفه، وتصوره أحوالهم المختلفة، التي احتفلت السورة الكريمة بعرضها، وسردها بقولها:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ}[٣]،وذلك رغم الحجج، والدلائل، والبراهين الواضحة، والخفية التي سردتها الآيات بحديثها عن البعث، وتصويره بمراحل الخلق الأولي بقوله-تعالى-:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ }[٤]،هذا إلى جانب ما ختمت به السورة الكريمة من دلائل وبراهين.[٥]

ويبدو لي أن عناية السياق بذكر المؤمنين مع الكافرين في مقام التهديد والوعيد الذي تكشف عنه سورة الحج هذه إنما هو من باب التوبيخ والتبكيت لهؤلاء الكافرين ؛ لإعراضهم، وعنادهم، واستكبارهم والذي تصوره السورة الكريمة بالكناية بقوله- تعالى-:(ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ)[٦]، ومبالغة في تعظيم جرمهم الذي يفيده تجدد الإضلال

١- ينظر: تفسير أبى السعود ٣٨/٤

٢-سورة الحج من الآية (٥٣)

٣ - سورة الحج الآيات (٣،٨،١١)

٤-سورة الحج الآية (٥)

٥-تنظر: سورة الحج الآية (٦١) وما بعدها

٦-سورة الحج الآية (٩)

منهم المدلول عليه بصيغة المضارعة (يُضل)، والمقتضي لتجدد العذاب لهم كما هو مفاد صيغة المضارعة (نذيقه)، عبر السياق بـ(العذاب) خاصة لأنه بدلالته على الاستمرار[١]كأنه يناغي إلحاحهم، وحرصهم على تجدد الإضلال، والتكذيب، والذي أكده السياق بالتعبير بصيغ المضارعة، فضلًا عن التأكيد بقوله:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ[٢]-وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ[٣]-وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ[٤]}، والتي كأنها إلى جانب تأكيدها لدلالات التجدد والاستمرار تستحضر هذه المشاهد، وتستوقف النفوس عندها ؛ ولهذا نكَّر السياق العذاب، ووصفه بالمهين الذي كأنه يلائم به الخزي المقصور عليهم في الدنيا بقوله- تعالي-:(لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) للدلالة على استحقاقهم له؛ لأن الإهانة لا تكون إلا عقوبة[٥]، وبذا جعل الإذلال هو عاقبة استكبارهم، وعلوهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة جزاء وفاقًا، وتحقيقًا لمعاني المبالغة في تعظيم الجرم، والذي يعد الإتيان بـ(الفاء)الرابطة عنصرًا من عناصرها قصر هذا العذاب المهين على كونه لهم دون غيرهم، وآثره على قول:(أولئك في عذاب مهين)؛ لأن (في) بدلالتها الظرفية توحي بالاستقرار، وهذا يتنافى مع معاني استمرار العذاب الذي تفيده اسمية جملة الخبر ، والتي كأنها جاءت لتلائم استمرار إلحاحهم، ودوام إصرارهم في الصد عن سبيل الله، ورد وإنكار دعوته، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء دلالات الدوام والملازمة التي يفيدها التعبير بأصحاب في قوله -تعالى-:{ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[٦]، وهذا بخلاف ما ورد في جانب المؤمنين فإن التعبير بـ(في) بقوله -تعالى-(فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)؛ كأنه بدلالته على الاستقرار يناغي الطمأنينة والسكينة التي ينشرها الإيمان، ويكون عليها المؤمن.

١-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٣٩

٢-سورة الحج من الآية (٢٥)

٣-سورة الحج من الآية (٥٥)

٤-سورة الحج الآية (٤٢)

٥-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٥١

٦-سورة الحج الآية (٥١)

والعناية بتقرير عنادهم واستكبارهم، وصدهم وإصرارهم الذي أوجب لهم هذا العذاب المبالغ فيه كأنها هي التي اقتضت تأخيرهم بعد ذكر المؤمنين، ليكون ذكرهم آخر ما يقرع الذهن، ويقر في الوجدان، باعتباره يمثل أعلى مراتب الإنكار والجحود الذي كانوا عليه، والذي تقصد السورة الكريمة إلى التهديد منه، والوعيد عليه، والذي يعد الربط بـ(الفاء) مع الاقتران باسم الإشارة الموضوع للبعيد(أولئك) وسيلة من وسائله، وهذا يدفع القول بأن الاقتران بـ(الفاء) قد جاء لكون العذاب هذا مسبب عن الكفر والتكذيب، بخلاف مقام الإيمان فإن الجزاء فيه بكونه عن فضل لم يقترن بـ(الفاء)[1]، إذ كيف يكون هذا -مع جوازه- مع التجريد منها في السياق ذاته الوارد في قوله -تعالى-من سورة الحج :{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ *فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[2]

فالتجريد من الربط بـ(الفاء) في هذا السياق جاء لأن السعي بالتثبيط والمغالبة يعد صورة من صور العناد والاستكبار، والتكذيب والافتراء فهو يمثل مرتبة من مراتب العناد، ومن ثم لم يحتفل السياق بتأكيده كما ورد في الآية موطن الشاهد، التي كأنها تصف وتصور أعلى مراتب العناد والاستكبار، والجحود والإنكار ومن ثم ختم بها الحديث عن الكافرين والمكذبين في هذا السياق.

يقول الزمخشري:" فإن قلت: كأن القياس أن يقال: إنما أنا لكم بشير ونذير، لذكر الفريقين بعده، قلت: الحديث مسوق إلى المشركين. و{يا أيها الناس}...نداء لهم، وهم الذين قيل فيهم: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ في الأرض} ....، ووصفوا بالاستعجال، وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا "[3].

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعيد قول الله -تعالى-: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ *وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ

١-ينظر: نظم الدرر ١٦٧/٥

٢- سورة الحج الآيات (٤٩-٥١)

٣-الكشاف ٢٠٣/٤

أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ*النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ *وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ *الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ}[١]

في هذا السياق الكريم جاء خبر الموصول الاسمي(فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) مقترنًا بـ(الفاء)؛ ليصور عظم الفتنة التي قام بها الفاتنون، وتعرض لها المؤمنون، ومن ثم صدَّر الآية بالتأكيد الذي كأنه يلفت من ورائه الذهن إلى عظم هذه الفتنة، والتي كأن السياق نفسه قد قصد إليها من وراء الإشباع بالاسم الموصول (الذين) الدال على كمالهم في هذا الشأن، وصلته التي كأنها بدلالتها على الماضي، وإسنادها إليهم مرتين تحقق ذلك، وذلك بارتباطها بأصل وضعها بما هو ظاهر جلي، ثم إن تصوير الشدة هذه كأنه هو الذي يكمن وراء إيثارها دون ما يؤدي معناها من(القتل) أو (الاضطهاد) أو (الإيذاء)؛ لأنها بأصل دلالتها على إدخال الذهب النار[٢] ؛كأنها تلائم التحريق الذي اشتملت عليه السورة الكريمة، فضلًا عن أنها بارتباطها بالابتلاء والاختبار[٣]في معظم صورها أقدر على وصف الشدة، وملائمة دلالات العموم التي اطرد ارتباطها بمقامات اقتران خبر الموصول بـ(الفاء).

وذلك لأن دلالات العموم التي اطرد ارتباطها بمقامات اقتران خبر الموصول بـ(الفاء)كأنها في هذا السياق تشير إلى تنوع صور الفتن التي تعرض لها هؤلاء المؤمنون من كونها في المال تارة، وفي الولد أخري، وفي النفس ثالثة ،وما إلى ذلك، ولعل هذا هو سر إطلاق الفعل (فتنوا) دون تقييد بشيء، كما هو سمت المقامات التي ورد فيها هذا الاقتران، ثم إن الشدة هذه كأنها هي التي اقتضت

١-سورة البروج الآيات (١-١١)

٢- ينظر: الفروق اللغوية ص٢١٧، والمفردات ص ٣٧١

٣-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٧٢ (فتن)

وصف الصابرين هؤلاء بالمؤمنين، وكأنها تصور عظم الطمأنينة ، وعظم السكينة، وعظم الثقة التي كانوا فيها رغم عظم البلاء، وتنوعه المفاد من التعبير بالفتنة خاصة، ولعل هذا ما أراد السياق أن يقرره من وراء الإشباع بالجمع بين (المؤمنين والمؤمنات) دون الاكتفاء بالتغليب، رغم طول أمد المعاناة التي كأن السياق يشي إليها بالعطف بـ(ثم) وما ترتب عليها من نفي التوبة بحرف الجزم والنفي والقلب الداخل على صيغة المضارعة المؤكدة لاستمرار، وتجدد هذا الاضطهاد، والإيذاء، ومن ثم جاء تقرير العذاب في غاية القوة بالاقتران بـ(الفاء)، وقصره على هؤلاء الفاتنين دون غيرهم، وكأن غيرهم ممن فعلو الأعاجيب لا يدخلون جهنم ، مبالغة في بيان جرمهم، وعظيم فتنتهم التي كأنها لم تترك شيئًا ، إلا وسلطته على هؤلاء المؤمنين، وفي تعدد روايات أصحاب الأخدود[1]ما يوحي بأن الحادثة هذه قد تكررت في عدة أزمنة، ولعل في (ثم) بدلالتها على التراخي ما قد يشي بذلك، لاسيما وأن فيها معاني الإمهال والإنظار الذي كأنه لم يفلح معهم، وإنما زادهم كبرًا وعلوًا، وتغطرسًا وتجبرًا، والذي تكاد تصوره صيغة المضارعة (يتوبوا) باستحضارها لهذا المشهد، وفي نفي (التوبة) دون (الرجوع) ما يناغي عظم الفتنة هذه، وذلك لكونها ندمًا على اقتراف ذنب بغير عذر[2]، فضلًا عن قبحه[3]، ومن ثم عبر بالعذاب لأنه بما يحمله من معاني الملازمة كأنه يلائم استمرارهم في العذاب الملائم لاستمرارهم في الظلم والعتو، جزاءً وفاقًا، تكاد تصوره، وتبالغ في إظهاره إضافته إلى جهنم بدلالتها على النار الموقدة، والتي كأنها تنص على النار التي عُذب بها المؤمنون، لاسيما وأنها بدلالتها على بعد القعر[4]كأنها تريد أن تستحضر الأخدود الذي طُرح فيه المعذبون؛ ليدرك هؤلاء الفاتنون عاقبة ما ينتظرهم مما هو من جنس عملهم ، ومبالغة في عظيم جرمهم قرن هذا العذاب المقصور عليهم بعذاب آخر من جنسه، في إشارة إلى أن هذا العذاب الذي لا يكاد يعذب به أحد

١-ينظر: روح المعاني٣٠/٨٨ ،٨٩

٢-ينظر: الكليات ص ٣٠٨

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٣٥

٤- ينظر: الفروق اللغوية ص ٣١١، ولسان العرب ١١٢/١٢ (جهنم)

لفظاعته كأنه لا يكفي لتكفير ذنبهم، وإزالة جرمهم إلا أن يضاف له عذاب آخر، ولا يكون خارجًا من جنسه[١]، وهو ما يفيده قصر عذاب الحريق هذا أيضًا عليهم، ونفيه عن غيرهم، وكأن التلميح بالنار والإيقاد المفاد من الإضافة إلى جهنم الدالة على بعد قعرها لا يكاد يشفي الغلة من هؤلاء، ومن ثم جاء التصريح بالحريق ليؤكد المبالغة بصيغتها، ودلالتها، ولعل هذا هو سر تعريفه بـ(أل) الدالة على كماله في هذا الوصف، ولعله عذاب الظاهر والباطن، الملائم للإيذاء الحسي والمعنوي الذي يصدر من هؤلاء.

والعناية بتقرير فضائل الإيمان كأنها هي التي اقتضت تصدير قوله-تعالى-: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بالتأكيد بـ (إنَّ) التي كأنها تنبه على عظم فضل الإيمان، وعظم منزلته، ومكانته عند المولى -سبحانه وتعالى-، والتي كأنه يجليها إيثار التعبير بالاسم الموصول (الذين) الدال على كمالهم في الإيمان، والطاعة، وفعل الصالحات ، وكونه ظاهرًا جليًا لا ينكره منكر كما هو مفاد جملة الصلة، ومن ثم احتفل السياق بقرن الإيمان الذي يمثل الطمأنينة والسكينة، بالنص على عمل الصالحات التي كأنها تمثل أعمال الجوارح ، والتي كأنها جمعت لتدل على كثرتها المناغية لكثرة، وعظم الفتن التي تعرضوا لها، ولعل هذا هو سر التعبير بـ (العمل) الذي يكون عن قصد وحرص، ويحمل معاني التنوع، والتعدد، وعبر السياق بـ(الصالحات) دون (الخيرات)، ليكشف عن تمكنهم من الخير، وتخلصهم من الشر[٢]، وهذا يعد من أعلى صور الإخلاص والطاعة التي يتحلون بها، والتي اقتضت قصر الجنات التي تجري من تحتها الأنهار على كونها لهم دون غيرهم؛ لعظم إخلاصهم، وعظم طاعاتهم التي كأنها كما استقرت في بواطنهم ، لاحت من جوارحهم ، وظهرت في أفعالهم ، وإنما لم يحتفل السياق بربط الخبر بـ(الفاء) كما فعل في جانب الكافرين الموسومين بكونهم فتنوا المؤمنين والمؤمنات، رغم دلالات العموم المفادة من الجمع بين الإيمان بتصويره للطمأنينة

١-ينظر: روح المعاني ٣٠/٩١، وتفسير التحرير والتنوير ٣٠/٢٤٦،٢٤٧

٢-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢١١

والسكينة، وعمل الصالحات بتصويره لأعمال الجوارح، بكثرة ارتباطه بالأفعال[١]؛لأن أصل السياق قائم على الوعيد والتهديد من أعمال الكفر، ووسائل الكافرين التي لا يكاد يخلو منها عصر من العصور، وهو ما يصوره التعبير عن اللعن بـ(القتل) الدال على عظم الجرم، وذلك بأصل دلالته على الإذلال والإماتة[٢]، فضلًا عما يصحبه من نقص في البنية[٣] نتيجة شدة التعذيب، الذي كأنه اقتضى إبدال (النَّارِ) من(الْأُخْدُودِ)؛ ليستحضر لهم به ما اقترفوه من ذنب، ومن ثم عرَّف النار بـ(أل)، الدالة على كمالها في التعذيب، والحركة، والاضطراب الذي تفيده بأصل دلالتها[٤] نتيجة شدة توقدها، الذي يشي به إشباع الحديث عنها بوصفها بـ(ذَاتِ الْوَقُودِ) الذي كأنه يدل على دوام ، واستمرار تلبسها بالوقود، وهذا بخلاف نار الدنيا التي عذبوا بها المؤمنين فإن مآلها إلى زوال، ولعل هذا ما يكمن وراء تعريف الوقود بـ(أل) الذي كأنه يناغي تعريف (النار) بها، ولهذا استحضر أعمالهم بصيغة المضارعة (يفعلون) المؤكدة لتجدد هذه الأفعال منهم فضلا عن تنوعها، وعمومها الذي يدل عليه كونها بقصد، وبغير قصد[٥]، والذي يعد الربط بـ (الفاء) الواقعة في جواب (الذين) أداة من أدوات تأكيده وتقريره، والتي يشي بها إسناد (يفعلون) إليهم مرتين بقوله:(وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)، والذي يعد بمثابة تأكيد وتقرير لمضمون جملة (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)، فالجملتان بتعبيرهما بضمير الغائب (هم) كأنهما يكشفان عن مدى التحقير لهم، والتهوين من شأنهم، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء تأكيد المدح بما يشبه الذم بقوله –تعالي– (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، والذي عبر فيه بالنقمة ليشمل الأمرين الإنكار باللسان والإنكار بالعقوبة[٦]، ولهذا آثرها على العيب، والإنكار،

١–ينظر: المفردات ص ٢٨٤

٢– ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥٦/٥ (قتل)

٣–ينظر: الفروق اللغوية ص ١٠٤

٤–ينظر معجم مقاييس اللغة ٣٦٨/٥ (نور)

٥– ينظر: الفروق اللغوية ص ١٣٤، والمفردات ص ٣٨١

٦– ينظر: المفردات ص ٥٠٤

لكونها أبلغ في تحقيق المعني[١]، وفي هذا ترشيح لشدة العذاب المعبر عنه بالفتنة، والذي اقتضى الربط بـ(الفاء) التي كأنها تؤكد ذلك، رغم عظم الإيمان ، وجلال قدره الذي يصوره التعبير بصيغة المضارعة (يؤمنوا)،التي كأنها تستحضر هذا المشهد، ولهذا أشبع الحديث عنها بقرنها بـ(أن)المصدرية، وتقيدها باسم الله الأعظم (الله)، وما ترتب عليه من موصوفات (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ *الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) المؤكد لعظم هذا الإيمان، وعظم فضله، الذي خاب هؤلاء بتركه ،وتنكب طريقه، ولهذا وضع الظاهر موضع المضمر بإعادته لاسم الله الأعظم (الله)، والإخبار بكونه شهيدًا عليهم مبالغة في التهكم بهم، والتبكيت لهم، وفي هذا تأكيد لكونهم سيجازون على كل أعمالهم التي صدرت منهم الحسية والمعنوية شهادة، وتعذيبًا، ولعل هذه هي دلالات العموم التي يشي بها الربط بـ(الفاء) التي تصور أعلى مراتب العذاب، والجزاء.

وعدل السياق عن الربط بـ(الفاء) في سياق الحديث عن المؤمنين، رغم تصديره بـ(إنّ)، وتعبيره بالاسم الموصول، وصلته الدالة على كمالهم في هذا الوصف، فضلًا عن ظهوره وجلائه، الذي يؤيده العطف بقوله –تعالى–:(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الدال بجمع (الصالحات) مع التعبير بالعمل النابع عن قصد، عن كثرته، وتنوعه، اكتفاء بالاحتفال بهم الذي يصوره تكرارهم بقوله:(المؤمنين – المؤمنات – الذي آمنو) فضلًا عن الإشباع الذي يلوح من التعبير بـ(أنْ)المصدرية، وصيغة المضارعة، وما ارتبط بها من قيود كان لها دورها في تقرير عظم الفضل، الذي اقتضى الإخبار بالجملة الاسمية (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، والتي تفيد– مع قصرها لهذه الجنات التي تجري من تحتها الأنهار على كونها لهم– دوام واستمرار هذا النعيم، والذي كأنه يلائم تجدد واستمرار هذه الأعمال الصالحة التي توحي بها صيغة المضارعة (يؤمنوا)، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء التعبير بصيغة المضارعة (تجري) مع جمع الجنات والأنهار، التي كأنها تلائم الإيحاء بعظم هذا الأجر، وعظم هذا الثواب ، والذي يؤكده السياق بالإشارة بقوله:(

١- ينظر: الفروق اللغوية ص٢٤٠

ذلك) الموضوع للبعيد، مع تعبيره بـ(الفوز) الدال على الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب[١]، ومن ثم عرَّفه بـ (أل) ليدل على كماله في هذا الأمر، ووسمه بـ(الكبير) تجسيدًا له لأنه بأصل دلالته يكون في الأعيان، ثم استعير للمعاني[٢]، فالسياق بإيثاره على (العظيم) كأنه يريد أن يشمل التنعيم الحسي والمعنوي.

ودلالات العموم هذه وإن سوغت الربط بـ(الفاء) كما ورد في جانب الكافرين، إلا أن عناية السياق بالوعيد والتهديد، كأنها هي التي جعلته ينأى عن الربط بها، ولهذا أعقب تصوير حال المؤمنين بالتعبير بـ(البطش) الدال على أخذ الشيء بقهر، وغلبة، وقوة[٣]، ووسمه بالشدة التي تكون في العقد، والبدن، النفس، والعذاب[٤]، وكأنها دلالات العموم التي تناغي التعبير عن العذاب بـ (الفتنة)، ولعل هذا ما قصد التنبيه عليه بتصدير العبارة بـ(إنَّ) التي كأنها تكشف عن العناد والاستكبار الذي كان عليه هولاء الفاتنون رغم وضوح القرائن، والبراهين التي كأن السياق قد قصد الإشارة إليها من وراء تصدير السورة بالقسم بالسماء والبروج، واليوم الموعود الذي تتجلى فيه الحقائق بالشهادة التي احتفل السياق بتكرارها ،والإلحاح عليها باعتبارها أكبر دليل على قدرة الله، وعظيم سلطانه.

١-ينظر: الفروق اللغوية ص٢١٠

٢-ينظر: المفردات ص ٤٢٠

٣- ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٦٢/١(بطش)

٤- ينظر: المفردات ص ٢٥٦

الفصل الثاني

مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في القرآن الكريم

توطئة

أشارت الدراسة من قبل إلى أن الجملة العربية قد تنوعت بين كونها اسمية، وبين كونها فعلية، وأن ذلك قد كان خاضعًا لتنوع دلالاتها ثبوتًا واستمرارًا، وتجددًا وحدوثًا، وأن الجملة الاسمية التي اقترنت بـ(الفاء) ووقعت خبرًا للاسم الموصول المتضمن معنى الشرط قد تنوعت بين كونها وعيدًا وبين كونها وعدًا ، وقد عللت الدراسة ذلك بارتباطها بالآخرة التي يكون الثواب فيها سرمدًا ، كما يكون العقاب فيها كذلك، وهذا بخلاف المقامات التي جاء فيها خبر الاسم الموصول المقترن بـ(الفاء) لتضمنه معاني الشرط جملة فعلية، فقد ارتبطت-كما سيأتي- بالتشريع تارة، والتحذير تارة أخرى، وقد جاء الجانب التشريعي فيها حاملًا لمعاني التحذير والتعنيف، الذي كأنه يلائم تجدد هذه الأعمال، بتجدد المتلبسين بها، والمرتكبين لها، ولهذا أخذت طابع الانشاء الوارد في صورة الأمر في معظم مواضعها البالغة عشرة مواضع ، فلم تخالف صيغة الأمر إلا في موضعين وردت فيهما بصيغة المضارعة ، وهذا كأنه جاء ليلائم العناية التي يظهرها التشريع، وما ترتب عليه من تحذير ظهر في مواطن أخري مما ستعرض له الدراسة.

المبحث الأول

مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ (الفاء) في مقام التشريع

للتشريع طابع خاص، ودلالة معينة تحتاج إلى سمت بياني يتسم بالقوة والشدة التي تحققه، لاسيما عندما يتعلق بالطبائع الغريزية، والشهوات النفسية، التي قيدها الشرع، ورسم لها ضوابطها التي لا يباح تجاوزها، أو التخلي عنها، وهو ما جلاه التعبير بالاسم الموصول الممثل للعناية وما ترتب عليه من أخبار برزت في زي الاقتران بـ(الفاء) التي تعد بمثابة تقرير يمثل العناية، ويحقق الهدف والغاية، ومن ثم وردت في صورة الأمر المباشر دفعًا لكل توهم أو تخيل، وذلك في كل مواضعها البالغة ستة مواضع جاء فيها المبتدأ موصولا صريحا.

فمن مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التشريع قول الله -تعالى-: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}[1]

ففي مقام التشريع هذا جاء خبر الموصول الفعلي (فَاجْلِدُوهُمْ) مقترنًا بـ(الفاء) ليكشف، ويصور عظم الذنب المترتب على رمي المحصنات الغافلات دون دليل أو برهان، وذلك لما يسببه من إشاعة للفاحشة، ونشر للرذيلة، وتقويض لدعائم المجتمع القائم على الطهر والعفاف؛ وفي ورود الخبر في صورة الأمر (اجلدوهم) ما يلائم التأكيد والتقرير، وذلك بما يحمله من معاني الوجوب، والإلزام الملائمة للتشريع، ومن ثم عبر بالجلد خاصة دون الضرب، لأنه فضلًا عما يحمله من قوة[2] تناغي التعبير عن القذف بـ(الرمي) يلائم ذكر الجلد الدال على الكشف، والإظهار، ليكون الجزاء من جنس العمل، وذلك لأن المقام في حقيقته إنما يدعو إلى التستر، والإخفاء الداعي إلى التثبت والتروي الذي تكشف عنه (ثم) بدلالتها

١-سورة النور الآيات (٤-٦)

٢- ينظر: الفروق اللغوية ص٨٦ ،و المفردات ص٩٥

على التراخي ،مع ربط الشهادة هذه بالأربعة التي يصعب بل يكاد يستحيل تحققها، درأ لإشاعة للفاحشة، ووأدًا للفتنة، وقضاءً على أسباب الرذيلة هذه؛ وذلك لأنها غالبا ما يتساهل فيها الناس ، ويقعون فيها ، ولعل هذا ما قصد السياق التنبيه عليه من وراء التعبير بصيغة الجمع (الذين) بما تحمله من دلالات اللفت والتنبيه المرتبطة بتضمنها لمعاني الشرط التي يؤكدها اقتران الخبر الفعلي بـ(الفاء)، والتي كأن السياق يريد أن يستحضرها بصيغة المضارعة (يرمون) بدلالتها على التجدد والاستمرار، ولعل في القوة التي يحملها التعبير بـ(الرمي) وسيلة من وسائل التنبيه على جرم وخطورة، وكثرة حصول هذا الأمر والتي يفيدها التعبير بصيغة الجمع (الذين)، ولعل في ارتباط (الرمي) بالأعيان، والأقوال[١] ، وكونه فوق الطرح[٢]الموضوع لجنس الفعل[٣]ما قد يشعر بهذا، وفي معاني الزيادة التي تفيدها مادة (رمى) بأصل وضعها[٤] ما يلائم التزيد نتيجة الانتشار الذي يصحب هذا المقام، لاسيما وأن في الرمي بما فيه من معاني الإبعاد[٥] ما يلائم عدم التثبت الذي غالبًا ما يلائم هذا المقام، وفي ذكر الرمي ما يلائم إقامة الحد بالرجم إذ إن هذا القول هو سببه، والموجب له ، ولعل هذا هو وجه التعبير بالإحصان في (المحصنات)، وإنما أفرد التعبير بها دون أن يجمع معها (المحصنين) مع أن القذف يكون لهما، لأن غايات المعاني هي الستر المقتضي لإشهاد الأربعة التي يكاد يستحيل اجتماعها، لاسيما وأن الجرم في هذا المقام متعلق بالرامي ومن ثم كان في التعبير بـ(المحصنات) فقط ما يحقق الغاية؛ ولهذا عدل عنه إلى التعبير بهما في مقام الزنا بقوله تعالى:(الزانية والزاني) لأن الذنب والجرم مرتبط بهما، قائم عليهما، وفي تقديم (الزانية) ما يلائم إيثار(المحصنات) بالذكر، باعتبار أن هذا الذنب لا يكون بدون رضاهن، ومن ثم أصبحن كأنهن المتسببات فيه.[٦]

١-ينظر: المفردات ص ٢٠٣، ٢٠٤

٢-ينظر: الكليات ص ٤٨١

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٩٧

٤-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٣٦/٢ (رمى)

٥-ينظر: الكليات ص٤٨١

٦-ينظر: تفسير أبي السعود ٩٠/٤، ونظم الدرر ٢٣١/٥

وفي التعبير بـ(الإحصان) الذي يكون عن زواج أو عفة أو شرف وحرية[1]، فضلًا عما فيه من حفظ، وحيطة، واحتراز[2] ما يكشف عن دلالات العموم التي اطرد ورودها مرتبطة باقتران خبر الموصول بـ(الفاء) التي تؤكد عظم هذ الجرم، وقبح هذا الفعل والذي كأنه بالتعبير عنه بـ(الرمي) المرتبط بالأعيان والأقوال يناغي دلالات العموم هذه، وفي تعريف المحصنات بـ (أل) ما يدل على كمالهن في هذه الصفات، التي تنأى بهن عن مواطن الشبهات ما أوجب للمتلفظ بهن وعيدًا شديدًا صوره أسلوب الأمر باقترانه بـ (الفاء) الواقعة جوابًا للشرط المتضمن في الاسم الموصول.

والسياق بإيثاره العطف بـ(ثم) بقوله: (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) كأنه يناغي البعد عن مواطن الشبهات المفادة من تعريف المحصنات بـ(أل) الدالة على كمالهن في هذه الصفات، ومن ثم نفى الإتيان ولم ينف المجيء؛ لأن نفي الأيسر يقتضي نفي الأشد، ويتلاءم مع رغبات الستر، وكتم الفاحشة التي يدعو إليها الإسلام، وهو ما قصد إليه من وراء دلالات الجزم والقلب المفادة من (لم) المرتبطة بالفعل (يأتوا) والمقيدة بـ(الباء) المشترطة للتلبس بهؤلاء الشهداء عند التلفظ بذلك الأمر لعظمه ، وعظم جرمه، ولهذا قدم الأربع تحقيقًا لاجتماعهم؛ لأن الغاية ليست الشهادة على ذلك، وإنما كونها من هؤلاء الأربعة لما تحققه الكثرة بصعوبة توفرها من درء للحدود، وتحقيق للستر؛ ولهذا اشترط (الشهادة) لأنها بكونها "قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر"[3] أدعي إلى التأكيد، والذي كأن السياق يقصد إليه من وراء الجمع بصيغة (شهداء)دون (أشهاد) أو(شهود)، وكأنها بكونها جمعًا لشهيد بما يحمله من مبالغة تكشف عن مدي الحرص على تحقيق ذلك قبل التلفظ باعتبارها تمثل تشريعًا من التشريعات السماوية، ولعل هذا هو سر تقديمها على الجزاء، وذلك بأن يكون التعبير(فاجلدوهم ثمانين جلدة إن لم يأتوا بأربعة شهداء)، وذلك بما يحققه التقديم من تنفير من هذا، ودفع له ، وصرف عنه، تعد

١-ينظر: المفردات ص ١٢١

٢-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٦٩/٢ (حصن)

٣-المفردات ص ٢٦٧،٢٦٨

(الفاء) المرتبطة بالجزاء صورة منه، وفي ربط عدد الجلد بالثمانين ما يكشف عن عظم هذا الجرم المقارب لاقتراف الفاحشة نفسها المحدد في السياق بالمائة ، وذلك بما فيه من إشاعة للفاحشة، ونشر لها؛ ولهذا أكده بالتمييز(جلدة) التي تلائم مع كونها من جلدٍ القوة تارة، والكشف والإظهار المرتبط بها، والمتسبب فيها تارة أخرى.

ومبالغة في بيان عظم جرم رمي المحصنات دون دليل أو برهان رتب على الأمر بجلدهم، النهي عن قبول شهادتهم، ليشمل الجزاء الجانب الحسي والنفسي، المادي والمعنوي، وكأنه يناغي الرمي بدلالاته المادية والمعنوية، التي تكشف عن شدة وقعه على النفوس لتعلقه بالأعراض، وخلطه للأنساب، وهو ما اقتضى التأكيد الذي كأنه يلوح من مقامات التعبير بالاسم الموصول (الذين) الموضوع للجمع، واقتران خبره بـ(الفاء)، فضلًا عن أنه يلائم الجرم الحاصل بالتهاون في تلمس الشهادة، وعدم حرصه على إقامتها رغم عناية التشريع بها ، وبذا ينضم إلى كشف عورته عدم إشهاده، ولهذا نهى السياق عن القبول الدال على الرضا والإثابة[1] ولم ينه عن الأخذ ليرمز إلى الإهمال لهم ، والبعد عنهم جزاء إهمالهم لامتثال أمر الله، وإقامة حدوده بالإشهاد على ما أذاعوه، ولعل هذا وجه تقييد القبول المنهي عنه بـ (اللام) دون (من)، ففيها تخصيص هجرهم، والبعد عنهم؛ لهذا نهي عن عدم قبول الشهادة خاصة، في إشارة من السياق إلى أن هذا النهي نهي عنها رغم تحققهم منها، وقطعهم بها، وفي التأبيد من معاني التحذير من قربهم، ومعاملتهم، والاعتماد عليهم ما فيه من معني قبح ما اقترفوه، وهو ما أوجب قصر الفسق عليهم دون غيرهم بجملة الحال الممثلة لأعلى درجات الذم لهم، والتعظيم لجرمهم، وذلك بقوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، والتي كأن السياق باقترانها بـ(الواو) يريد أن يجعلها في إثبات مستقل، فضلًا عن زيادة ربطهم بها.

وفي التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أولَئِكَ) ما يستحضرهم أمام الأعين فضحًا لهم، وتشهيرًا بهم، ولعل في الفسق خاصة بدلالته اللغوية ما يلائم

١-ينظر: المفردات ص٣٩٢

حالات الكشف والإظهار والتعرية المتلبسة بهذه المقامات، والمخالفة لما يدعو إليه الإسلام من ستر لجأ إليه حتى في تقرير تشريع عقوبة الزنا نفسه، وذلك بعدوله عن التعبير بالاسم الموصول إلى التعبير بـ(أل) الموصولة، وذلك بقوله في مطلع السورة الكريمة (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) مع أن المقام مقام اقتراف جرم، وذنب يقتضي التعبير بالاسم الموصول الصريح (التي زنت والذي زنا)، ولكنه الستر والتغطية التي يدعو إليها الإسلام، وكأنه لولا التشريع ما ذكر، ولا صُرح به، ولهذا جاء الجزاء مباشرة دون أن يسبقه قيد أو مطل بقوله:(فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)،فالتعبير بصيغة الأمر الصريح (اجلدوا) مع الاقتران بـ(الفاء) كأنه ما هو إلا تقرير لجانب التشريع الإلهي أراد السياق أن يجذب الذهن إليه لارتباط الحدث به؛ ولهذا فصَّل فيه دفعًا للإلباس بقيد(كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)، في إشارة إلى أنه غاية الذكر، ولعل هذا هو وجه التحذير من الرأفة المنهي عنها بقوله:{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، وتقييدها بكونها في دين الله، وقرنها باستحضار الإيمان بصيغة المضارعة (تُؤْمِنُونَ)، مع ربطها بالله، واليوم الآخر، وما رتب عليها من إشهاد نسب إلى المؤمنين، وقيد بهم، وذلك بقوله –تعالى–: (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، ولا يبعد أن يكون في ذكر الطائفة بعلاقتها بالطواف ما يلائم الإحاطة المقتضية للستر الذي يدعو إليه السياق العام، ومن ثم يكون في توجيه الإشهاد بكونه بغاية الدعوة والإرشاد للابتعاد عن اقتراف هذا الجرم[1]، وليس للتشهير، والتعنيف ما يلائم المقصد العام من السورة الكريمة، والمتسبب في نزولها، ومن ثم حذر منه المولى –سبحانه وتعالى–في السياق نفسه بقوله:{ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}، ولعل هذا هو وجه تقييد الإشهاد على المقترفين للزنا بالمؤمنين خاصة، وعرض مشهد الجرم ذاته في صورة (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) فحسب، وكأن السياق لولا ما يتعلق بهما من تشريع صوره قوله: (كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا) ما صرح إلا بلفظة واحدة منهما سترًا، وإخفاءً، ولعل هذا ما قصد إليها السياق من

١–ينظر: نظم الدرر ٥/٢٣٢

وراء التعبير بـــ(أل) الموصولة في مقام السرقة بقوله:{ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا}[١] رغم التأكيد المفاد من الاقتران بـــ(الفاء) الملائمـــة لمقام التشريع، وهذا بخلاف موطن القذف المحذر منه، وما ترتب عليه من لعـــان صورته السورة، فقد تمددت أركانه، وتعددت صور التحذير منه؛ ولهذا عندما انتقل السياق إلى ذكر (اللعان) – بعد دعوته إلي التوبة، والإصلاح وتقريره لذلك بصيغة الاسم الموصول (الذين) وما ترتب عليه من جواب اقترن بـــ(الفاء) – آثر إعـــادة التعبير بالاسم الموصول (الذين) دون التعبير بـــ(أل) كما فعل في جانـــب الزنـــا؛ وذلك للتحذير من اللعان، وبيان عظم جرمه، وما يترتب عليه، ومن ثم عبر عنـــه بـــ(الرمي) المصور بارتباطه بالأعيان والأقوال لعظم وقعه على النفـــوس ســـواء الرامي أم المرمي؛ وذلك لما بينهما من التلازم والاقتران المعبر عنه بـــ(الأزواج) خاصة[٢]، والمفاد من الإضافة إليهم، المؤكدة بالزوجية لمعاني الارتباط الملائمـــة لغايات التشريع التي تقصد إليها الآيات في هذا السياق، ولعل هذا هو وجه الـــربط بـــ(الواو) باعتبار أن هذه الصورة التشريعية، وإن اختلفت في الحكم إلا أنها تعـــد دائرة واحدة قد تكون أشد خطرًا، وأعظم جرمًا، وذلك بما يترتب عليها من تفريق أو إعلان بتقرير حد، وإقامته كأن السياق يكاد ينأى عنه تحقيقًا للستر، ودعوة إليه، لاسيما في مقام تجرد من الشهادة التي تكون مظنة الاشتهار، والافتضاح، ولعل هذا هو وجه التأكيد الذي يلوح من أسلوب القصر الذي طريقه النفي والاستثناء، والذي يقصر الشهادة عليهم دون غيرهم قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا، كأن السياق يقصد من وراء الاحتفال بتقريره بنفي الكينونة، مع التأكيد المعنوي بقوله:(أنفسهم) أن يكشف عن شدة وقع هذا الأمر على أنفسهم مما يجعلهم يقدمون على ما فيـــه فضـــح أنفســـهم وأهليهم، وفيه بما يحمله من تأكيد ما يكشف عما يتحمله التشريع من مخالفة لقانون الشهادة التي اقتضت المضاعفة بالأربعة التي لا تكاد توجد فيما سواه من أحكام.

١–سورة المائدة من الآية (٣٨)

٢–ينظر: ومعجم مقاييس اللغة ٣/٣٥، والمفردات ص ٢١٦، والكليات ص ٤٨٦

فالسياق كأنه يشير إلى أن (اللعان) مع ما فيه من كذب أحد الطرفين أولى من الشهادة بما تحققه من إشهار، وافتضاح ينهى الإسلام عنه، ويريد أن يقضي عليه؛ ولهذا بالغ في تقرير عظم هذه الشهادة، وعظم ما يترتب عليها من جزاء كأنه اقتضى التكرار رغبة في العودة منه أو الرجوع عنه، ومن ثم كان في اقتران الخبر بـ(الفاء) ما يناغي عظم جرم هذه الشهادة، وما يترتب عليها من كلا الزوجين صدقًا، وكذبًا، ولعل هذا هو وجه تكرار الشهادة التي تكون بالبصر، وتكون في الخبر القاطع ،وإضافتها إلى كل واحد منهم، وورودها بصيغة الجملة الاسمية الدالة على تلبسها بصاحبها، وعدم انفكاكها عنه دنيا وأخرى، ثم إن المبالغة في التحذير التي يفيض بها السياق من وراء الاقتران بـ(الفاء)، والتكرار كأنها هي التي اقتضت ربطها باسم الله الأعظم ، وتلبسها به بـ(باء) الإلصاق ، التي كأنها بارتباطها بالتأكيد بـ(إنّ)، وضمير الشأن، واسمية الجملة، و(اللام)، و(من) تراعي إنكار المجتمع ، واعتراضه على قول ذلك، والإقدام عليه بما يترتب عليه من فساد، وإفساد قد تُعالج شئونه بوسائل أخرى أخفى وأستر، فضلًا عن أن التأكيد هذا قد يراعي ما يشعر به من آلام وأحزان تكاد تفتك به، وتقضي عليه، يريد أن يفرغها من وراء وسائل التوكيد هذه، والتي تعد (الفاء) بإمكانية الاستغناء عنها كأنها أداة من هذه الأدوات التي تكاد تكشف عما تنطوي عليه نفس الشاهد، مما تعجز العبارة عن تحقيقه، والدلالة عليه.

فالمؤكدات التي اشتمل عليها هذا السياق بدءً من التعبير بالاسم الموصول (الذين) بما يحمله من تهيئة، وإيقاظ، ثم بالتعبير بصلة الموصول (يرمون أزواجهم) باستحضارها لمشاهد الرمي هذا الذي يكون حسيًا ومعنويًا، ثم ما ترتب عليه من نفي لوجود الشهداء بصيغة غلب عليها –مع التأكيد بأسلوب النفي والاستثناء– جانب الإشباع المصور لعظم التبعة، وشدة المعاناة، وذلك بكون الشهادة صادرة ممن في الأصل يحرصون على الستر، ويستميتون من أجله، كأن كل هذا هو الذي رشح إلى القوة التي لاحت من تصدير جملة الخبر بـ(الفاء) التي كأنها تطوي وراءها صورًا وألوانًا من العذاب والمعاناة التي كأن عناصر التوكيد التي اشتملت

عليها الشهادة تعجز عن وصفها، والوقوف على كنهها، وذلك بدءً من دلالات الاسمية التي تكشف عن تلبس هذه الشهادة بصاحبها دنيا وأخرى، وهو ما يكشف عنه التخصيص بالأحدية المضافة إلى الشهادة في (أحدهم)، فضلًا عما يحمله التقييد بكونه بـ(الله) من تغليظ يوبق من يخالفه، يصوره السياق بالتأكيد بـ (إنَّ)، و(اللام)، و(من) التي يرغب من ورائها أن يقرر أنه بشهادته هذه رغم قسوتها علي نفسه في صدر الصادقين، وفي مقدمتهم.

والسياق بهذه المؤكدات كأنه يصور لنا أن من يقدم على هذه الشهادة لا يكون إلا صادقًا حقًا، وذلك لما يناله من ورائها من افتضاح وتشهير، كأنه يلازمه طيلة حياته، وهو ما يصوره الإخبار بالجملة الاسمية، وفي تعديل الحكم الإعرابي بالنصب على الاختصاص بقوله:(والخامسة)، ما يكشف عن رغبات التذكير بهذه الأعداد، التي كأنها تدعو بتكرارها إلى العدول والرجوع، تشعر بهذا إقامتها مقام الشهادة، وتعريفها بـ(أل) التي كأنها تناغي ما ترتب عليها من وعيد شديد صوره التعبير بـ(اللعن) بأصل دلالته على الطرد والإبعاد، مضافًا إلى الله –عز وجل– الذي يكون منه في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاعًا عن رحمته، وتوفيقه[1]، وربطها بكونها (عليه) الملائم لتنزلها من السماء تأكيدًا لعظمها، مع استيعابها كما هو فحوى دلالات الاستعلاء، وتنبيهًا على ندرة حدوث ذلك من أحد لعظمه، وعظم جرمه عبر بـ(إن) الشرطية، واستعاض عن دلالات التحقيق التي قد تفيدها (إذا) بالتعبير بـ(كان) والإتيان بـ(من) الدالة على كونه بهذا في صدر الكاذبين، ومقدمتهم، بل ومن جنسهم الذي لا ينفك عنهم، كما هو مفاد تعريف (الكاذبين) مع جمعهم الدال على عظم جرمهم الذي أوجب لهم هذه اللعنة التي كأنه لا يقادر قدرها ، ولا يعرف كنهها نتيجة عظم ما اقترفوه ، وأقدمو عليه، ولعل هذا ما يكمن وراء تقديمها على جملة الشرط، وإتيانها متلبسة بحرف التوكيد (أنَّ) التي تناغي عناصر التوكيد المفعم بها هذا السياق نتيجة غرابته المنافية للفطرة السليمة، والدعوة الإنسانية.

١-ينظر: المفردات ص ٤٥١

ودلالات عظم الجرم التي يتسم بها هذا السياق كأنها هي التي أحوجت إلى دفع هذا العذاب، وذلك بالتعبير بـ(الدرء) الذي كأنه بإتيانه بصيغة المضارعة (يدرأ) يريد أن يستحضر هذا المشهد وما يتلبس به من بشاعة، واختلاف، وشقاق كأن السياق يريد أن ينهى عنه، ويقضي عليه، وفي دلالات المجاوزة المفادة من (عن) شوب من هذا، ولعل هذا هو وجه تعريف (العذاب) بـ(أل) الدالة على كماله في هذا الوصف، فضلًا عن دلالاته النفسية، والحسية التي كأن عناصر التوكيد المفعم بها هذا السياق، والتي يعد الربط بـ(الفاء) عنصرًا منها ما هو إلا مراعاة لذلك.

وفي التعبير عن الشهادة في جانب المرأة بصيغة المضارعة (تشهد) المقترنة بـ(أن) المصدرية ما يدعو إلى التوقف عند هذه الشهادة لقيام الحد عليها، وارتباط الحكم بها، فضلًا عن كونها أشد وقعًا عليها، وأكثر اختبارًا لها، لوقوع العبء عليها اعترافًا وإنكارًا، والسياق بتقديمه العدد على المعدود (أربع شهادات) دون (شهادات أربع) كأنه يلائم الشهادة من الغير بتقييدها بالأربع التي يكاد يصعب تحققها، رغبة في الستر، ودعوة إليه، وذلك بما تحققه من إمكانية الرجوع أو التوقف خوفًا من الله، وابتغاء مرضاته، وفي تقييد الشهادة بالله فضلًا عن التوكيد الملائم لعظم الحدث ما يذكر بالله، وبطاعته، وبالرجوع إليه، لاسيما عندما يقترن بالمؤكدات التي تنبض بها (إنَّ) بارتباطها بضمير الشأن، مع الاقتران بـ(اللام)، و(من) التي تجعله في صدر الكاذبين، وفي مقدمتهم، والتي كأنها تلائم إصراره، وعزمه على أخذ حقه منها، ورغبته في تطهيرها، وإنما عبر السياق في جانبها بـ(الغضب) دون (اللعنة) مراعاة لعظم الذنب الواقع عليها في كلتا الحالتين حالة الإنكار، وحالة الاعتراف، وذلك لارتباط الضرر به، وترتبه عليه[1]، وفي التعبير بـ(إنْ) بدلالتها على الشك مع ظاهر مخالفتها لعناصر التوكيد المفعم بها هذا السياق ما يلائم رغبات وغايات الستر التي كأن المعاني تقصد إليها، وفيها دلالة على ندرة حدوث الصدق ممن هذا حاله لأن الضرر بالتشهير والافتضاح في كلا المقامين واقع عليه، وحالٌ به.

١-ينظر: الفروق اللغوية ص ١٣٠

والمتأمل في هذا السياق يلحظ أن عنايته بالتأكيد والتقرير لهذا الأحكام التشريعية ما هي إلا مهاد وتوطئة للتحذير من إشاعة الفاحشة، ونشرها بقذف المحصنات الغافلات بدون وجه حق، وهو ما صورته حادثة الأفك، والتي تعد سببًا رئيسًا في تنزل هذه السورة الكريمة، وما سُنَّ فيها من تشريعات، غلب عليها جانب التشديد، والتعقيد الذي يكاد ينشره تقييد الإشهاد بالأربعة سواء على النفس أو على الغير، ولعل هذا هو وجه العناية من وراء تكرار اللعان، ومن وراء تكرار الأمر بالشهادة في قوله –تعالى–:{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا}[١]

فقبح الفاحشة، وقبح انتشارها المحذر منه في هذا السياق كأنه هو الذي دعا إلى الأمر بالاستشهاد عليها، والذي يصوره اقتران أسلوب الأمر بـ(الفاء) في (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ) بما يحققه من إلحاح، وحرص، واهتمام بالقضاء على ما يكون سببًا في تأخر المجتمع، وفساد أخلاقه، وضياع قيمه ومبادئه، وذلك باعتبار أن المرأة هي اللبنة الأولى لبنائه، وترسيخ دعائمه، ولعل هذا ما قصد إليه السياق من وراء البدء بهن بالاسم الموصول (اللاتي)، والذي كأنه باقترانه بـ(الواو) العاطفة لمجموع الكلام على مجموع الكلام ينبه على خطورة الفاحشة، ويكشف عن أضرارها، وما يترتب عليها من اختلاط للأنساب، وضياع للحقوق، وهو ما تحققه الفاحشة الفعلية بارتكابها، والوقوع فيها والمحذر منها في هذا السياق، والمدعو إلى الاستشهاد عليها، وأشعر أن التنبيه على خطورتها، وكشف أضرارها هو الذي يكمن وراء إيثار صيغة الجمع (اللاتي) لأنها بكثرة حروفها كأنها تتاغي كثرة الإتيان بهذه الفاحشة والتلبس بها، والاستساغة لها، فهي ليست للكثرة المطلقة كما يوهم بذلك كلام المفسرين[٢]، وإنما تعني كثرة تلبس من يقع فيها، ويعتاد عليها ؛

١–سورة النساء الآيتان (١٥،١٦)

٢– ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٤/ ٢٧٢

يشعر بهذا التعبير بصيغة المضارعة (يَأْتِينَ) الدالة مع استحضارها لهذا المشهد على تجدد هذا الإتيان منهن، وفي دلالات السهولة التي يفيدها بناؤه ما يكشف عن الاستمراء لها، والتلذذ بها؛ ولهذا آثر تعريفها بـ(أل) الدالة على كمالها عندهن، وسيطرتها عليهن، ما أوجب الاستشهاد المحقق للعقوبة؛ لكونها تمنع شيوع هذه الفاحشة التي حذر الإسلام منها؛ وذلك لأن الإشاعة كما تكون إشاعة قول تكون إشاعة فعل، ومن ثم كان المقام في حاجة إلى التأكيد والتقرير الذي تشعر به (الفاء) الرابطة لجملة الخبر الواقعة جوابًا للاسم الموصول المتضمن معاني الشرط تنبيهًا وتعظيمًا، والمقترنة بمعاني الطلب المفادة من (السين) وما ارتبط بها من أحرف الزيادة التي تعد بمثابة إلحاح، وإصرار على إزالة أسباب هذه الفاحشة، وقطع شأفتها، فضلًا عما تحملها عناصر التوكيد المتمثلة في (الفاء) الرابطة، وما اقترن بها من أحرف الزيادة من تحرٍ للدقة، ورغبة في الوقوف على حقيقتها التي تمنع، وتقطع الرمي بغير الحق المنهي عنه، وفي إسناد الفعل إلى ضمير الجمع المستتر وجوبا (أنتم)، والمؤكد بواو الجماعة المرتبط بالفعل ما يناغي كثرة فعل الفاحشة المتلبس بهؤلاء النسوة ما أوجب الاستشهاد عليهن، والذي كأنه لم يسوغ الخوض فيه إلا بعد الاستشهاد الذي يتحقق بالبصر، والبصيرة، وفي هذا ما فيه من معاني التحري التي تنبض بها عناصر التوكيد المتلبسة بهذا الفعل الواقع باقترانه بـ (الفاء) في جواب الشرط المتضمَّن في الاسم الموصول، والتي يسهم في تحقيقها التمكن المفاد من دلالات الاستعلاء المفادة من التقييد بقوله:(عليهن)، ولعل هذا هو وجه عودة الضمير على النسوة دون الفاحشة، لكونهن المقصودات من هذا الاستشهاد، بما أعد لهن من عقاب يقطع هذه الفاحشة، ويقضي عليها، وفي التقييد بقوله:(مِنْ نِسَائِكُمْ) بإضافتهن إليكم ما يكشف عن قربكم منهن، ومعرفتكم بأحوالهن المسوغة لهذا الاستشهاد، والإقدام عليه، فضلًا عن أنَّ (مِنْ) بدلالتها على التبعيض تؤكد أن الكثرة المعبر عنها بصيغة الجمع (اللاتي) ليست كثرة عدد، وإنما كثرة اعتياد واقتراف لهذه الفاحشة التي صرح المفسرون بأن المقصود بها (الزنا)

الصريح[١]،وفي إيثار السياق للتعبير بـ(نِسَائِكُمْ) دون (محصناتكم) أو(أزواجكم) ما يلائم مقاصد السورة الكريمة التي تدعو إلى النكاح ، وتحث عليه لما يحققه من حفظ وإعفاف، وهذا بخلاف سياق سورة النور فقد ورد مرتبطًا بقذف المحصنات ،ونزل بسببهن، ومن ثم كان الملائم للسياق ذكر الإحصان، والزواج ، ولهذا ذهب المفسرون إلى أن السبيل المنصوص عليه في هذا السياق قد يكون بالزواج، والإحصان[٢].

وجاء التقييد بالأربعة في (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) ليرسخ لجانب التحري، والتدقيق في الحكم تحقيقًا لغايات الستر التي كأن المعاني تقصد إلى تحقيقها من وراء التقييد بـ(منكم) التي كأنها بدلالتها على ابتداء الغاية تدعو إلى أن طلب الشهادة هذه ينبغي أن يكون من الملاصقين لهؤلاء النساء القريبين منهن، العارفين لأحوالهن، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء إضافة النساء إليهم في (نِسَائِكُمْ)،ومن وراء العطف بـ(الفاء) في (فَإِنْ شَهِدُوا)، لاسيما وأن القرابة والصلة أدعى إلى الورع الذي تفيده الندرة المعبر عنها بـ(إن)، والتي كأنها تصور بدلالتها على الشك التردد بين القول والسكوت، الإقبال والإحجام رغم التحقق الذي يفيده التعبير بالشهادة التي تكون بالبصر والبصيرة، وتحقيقًا لدلالات الستر جاء العقاب على وجه السرعة المفاد من العطف بـ(الفاء) وبـ(الإمساك) الذي يتسم مع دلالته على حبس النفس عن الفعل[٣] باللين واللطف، وهو ما أراد السياق تحقيقه بتقييده بقوله:(في البيوت) لكونها تحفظ من بداخلها، وتحويه، وتحيط به، لاسيما وأنها بارتباطها بالليل ، وتلبسها به[٤] أقدر على وصف الستر، وتحقيقه، ومن ثم عرفها للدلالة على كمالها في هذا الوصف، رغم طول زمن الإمساك المفاد من التقييد بـ(حتى) الدالة على انقضاء الأمر شيئًا فشيئًا، والتي كأنها بإيثارها على (إلى) تكشف عن التعهد والرعاية بالتوجيه والإرشاد والإصلاح الذي ينبغي أن

١-ينظر: البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي-ت: الشيخ زهير جعيد- ٣/٥٥٥- ط: دار الفكر-بيروت-لبنان-١٤٣١،١٤٣٢هـ-٢٠١٠م، ونظم الدرر ٢/ ٢٢٥

٢-ينظر: نظم الدرر ٢/٢٢٦

٣- ينظر: الفروق اللغوية ص ١١٢، والمفردات ص٤٦٩

٤- ينظر: المفردات ص٦٤

يحظين به طيلة هذه الفترة، ولعل هذا هو وجه الإشباع الذي يلوح من استحضار التوفي بصيغة المضارعة، بما يحمله من معاني الاستيفاء الدالة على التمام والإكمال[١]، وإسناده إلى الموت الذي لا يكون إلا من الله[٢]، فضلا عما يؤكده من عدم نقض البنية التي يكون عليها بالقتل[٣]، والذي كأن السياق يدفع به توهم التعذيب، والإهانة، والتوبيخ المفضي إلى الموت، يشعر بهذا ما رتب عليه من تفريع بالعطف بأداة التخيير (أو) والتي كأنها ترشح إلى أن الأصل من هذا الإمساك هو الإصلاح، والثبات على الخير، ومن ثم عبر بـ(الجعل) بما يحمله من دلالات العموم[٤]،وبكونه بتغيير الصورة مع إيجاد الأثر، وبدونه[٥]، وأسنده إلى لفظ الجلالة تشريفًا له، وترغيبًا فيه، ونكر السبيل دلالة على عظمه، وجلال قدره بنسبته إلى الله تعالى، فضلًا عن تنوعه، وفي تقديم القيد (لهن) ما يظهر العناية بهن، والحفاظ عليهن، وفي هذا تأكيد بأن الإمساك لهن إنما هو إمساك إصلاح وتطهير، ولعل هذا وجه من أوجه العناية التي يبرزها التعبير بالاسم الموصول المقترن بـ(الواو)، والإخبار عنه بصيغة الاستفعال المرتبطة بـ(الفاء)، والتي يجليها تكرار التعبير بالاسم الموصول (اللذان)، وربطه بما قبله بـ(الواو) العاطفة المفيدة للتشريك، والإخبار عنه بصيغة الأمر (فَآذُوهُمَا) المقترنة بـ(الفاء)، وجعل التوبة والإصلاح سببًا للإعراض عنه، والترك له.

ففي التعبير بالاسم الموصول (اللذان) الوارد بصيغة التثنية الشاملة للزانية والزاني بأسلوب التغليب [٦]– إشارة إلى أن الكثرة المقصودة من وراء الجمع في (اللاتي) إنما هي كثرة اعتياد، وليست كثرة عدد، وفي تكرار الإتيان بدلالته على اليسر والسهولة إيحاء بذلك.

١- ينظر: المفردات ص٥٢٨، ومعجم مقاييس اللغة ١٢٩/٦ (وفى)

٢- ينظر: الفروق اللغوية ص١٠٤

٣- ينظر: الفروق اللغوية ص١٠٤

٤-ينظر: المفردات ص٩٤

٥-ينظر: الفروق اللغوية ص١٣٦

٦- ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٤/ ٢٧٣

ورغبة في تحقيق الستر الذي كأن المعاني تقصد إليه لم يعد السياق ذكر الفاحشة بالنص عليها، واكتفى بإعادة الضمير عليها ذمًا وبغضًا لها، أوجب التوكيد الذي يلوح به أسلوب الأمر المقترن بـ(الفاء) المشيرة إلى تضمن الاسم الموصول معني الشرط الدال على عظم جرم الذنب المقترَف منهم، والمتلبس بهم، والذي أوجب لهم الإيذاء المأمور به في(فَآذُوهُمَا) والذي يشمل الحسي والمعنوي، النفسي والجسدي، القولي والفعلي، ولعل هذه هي دلالات العموم التي ينشرها الارتباط بـ(الفاء) الواقعة في جواب الشرط المتضمن.

ثم إن رغبات الستر التي كأن المعاني تقصد إليها كأنها هي التي دعت إلى المسارعة إلى العفو، والصفح، والإعراض عن الإيذاء، والتي يفيدها العطف بـ(الفاء) في (فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا)؛ ولهذا عبر السياق بـ(إن) الشرطية دون (إذا) مع أنها بدلالتها على تحقق الوقوع تلائم التأكيد المفعم به هذا السياق، وفي هذا إشارة إلى أن مجرد التوبة حتى ولو كانت ظاهرية كفيلة بكف الأذى، والإعراض عنهم، ولهذا عبر بالتوبة التي تكون عن ذنب، ثم ترقى إلى الإصلاح الذي يكون في الظاهر والباطن، وكأن السياق بهذا الترقي يصور لنا الرعاية والعناية الملقاة على جانب المجتمع حتى يألف هؤلاء الطاعة، ويجتنبوا المعصية، والذي يعد الإمساك في البيوت وسيلة من وسائله، ولهذا عبر السياق بـ(الإعراض) دون (الكف)، أو(الاجتناب) لأن الإعراض مع دلالته على التولي يكون عن قرب، وبذا كأنه يلائم التعهد والرعاية، والتي كأنه ينبه عليها بالاقتران بـ(الفاء) الواقعة في جواب الشرط الصريح، ولعل الحرص على الكف عن الإيذاء، والمنع له، رغم مقدمات التوبة المفادة من التعبير بـ(إن) الشرطية هو الذي اقتضى تقييد الإعراض بـ(عن) التي كأنها تناغي التجسيد الذي ينبض به (الإعراض) في هذا السياق، وهو ما اقتضى تذييل الآية بالتأكيد بـ(إنَّ)،واسمية الجملة، والتعبير بلفظ الجلالة (الله)، والإخبار عنه بصيغة المبالغة (تواب) الدالة على كثرة التوبة، رغم تجدد الذنب، وعظمه، وقرنه بالخبر الآخر(رحيم) الوارد بصيغة المبالغة

كذلك، والذي كأنه يناغي عظم جرم هذه الأعمال التي حظيت بتوبة الله ورحمته ترغيبًا في عفو المسلمين عنهم، ونسيانهم لأعمالهم.

وتحقيقًا للعفة التي تقضى على ظهور الفاحشة والتي جاء الأمر بالنكاح مقرونًا بها في سورتي (النساء)، و(النور) جاء الأمر بالمكاتبة في جانب العبيد، والإماء مقترنا بـ(الفاء) الواقعة في جواب الاسم الموصول (الذين) ليكشف عن العناية بهذا الأمر، والاهتمام به، والإلزام له، باعتباره سبيلًا من سبل القضاء على انتشار الفاحشة لتلبسها بهم نتيجة فقرهم وحاجتهم، ومن ثم كان في المكاتبة وسيلة من وسائل التحرير من الرق، والتي حرص الإسلام على التخلص منه بربط كثير من الكفارات بتحريرهم، وذلك في قوله -تعالى-: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[1]

فالأمر بالمكاتبة في هذا المقام التشريعي بما يحمله بمادته وصيغته من معاني الوجوب والإلزام، كأنه يكشف عن العناية، والاهتمام بهذا الأمر لما يحققه من رقي المجتمع وتقدمه، وعفته وطهارته، والتي يحرص الإسلام على حفظها وصيانتها، وهو ما يكمن وراء اقتران الخبر بـ(الفاء)، والإتيان بها في جواب الاسم الموصول (الذين) الذي كأن السياق يسهم من وراء إيثاره في التنبيه على أهمية هذا الأمر، وخطورة التقاعس عنه، لاسيما وأنه يتلاءم مع مظاهر الحرية والعزة المحققة للعفة والطهارة التي يدعو الإسلام إليها، ويحرص على تحقيقها، وفي التعبير بالاسم الموصول (الذين) مع أن الحكم للذكور، والإناث ما قد يلائم هذا، ويدل عليه، ولعل هذا هو وجه التعبير بـ(الكتاب)، وتعريفه بـ(أل) الدالة على كماله في الوجوب والإلزام، والحجة والإثبات، لأنه بأصل دلالته مأخوذ من ضم أديم إلى أديم

١-سورة النور الآية (٣٣)

بالخياطة[١]، وفي هذا دلالة على اجتماع معاني التوكيد الحسية والمعنوية التي تشعر بأهمية هذا الأمر، ووجه العناية به.

يقول الراغب:" وكتابة العبد: ابتياع نفسه من سيده بما يؤديه من كسبه، قال: {والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم}، واشتقاقها يصح أن يكون من الكتابة التي هي الإيجاب، وأن يكون من الكتب الذي هو النظم والإنسان يفعل ذلك"[٢]

ولعل العناية التي ينشرها السياق من وراء التعبير بالاسم الموصول (الذين) مع اقتران الخبر بـ(الفاء)، والتعبير بالمكاتبة وتكرارها هي التي دعت إلى التعبير بـ(الابتغاء) دون (الإرادة) لأنه بما يحمله بأصل مادته من تصوير شدة الطلب، وشدة الحرص يلائم العناية المفعم بها هذا السياق، والتي اقتضت التعبير بصيغة الأمر المقترن بـ(الفاء)، والتي كأنها تناغي صيغ الأمر المفعم بها هذا السياق في (وأنكحوا- وَلْيَسْتَعْفِفِ – وَآتُوهُمْ) وما رتب عليها من نهيٍ بقوله:(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ)، فضلًا عما أحدثته من مشاكلة بينها وبين (البغاء) قررت المعنى، ورسخت له، وفي هذا ما قد يرشح إلى أن المقصود بـ(المكاتبة) المأمور بها في هذا السياق إنما هي مكاتبة النكاح، وذلك بما يحققه من معاني العفة التي يدعو إليها السياق، وتدعو إليها السورة الكريمة، وأن يكون وجه العناية المفاد من التعبير بالاسم الموصول (الذين)، والإخبار عنه بجملة (فَكَاتِبُوهُمْ) المقترنة بـ(الفاء) ما تقابل به هذه الرغبة غالبًا من صد ورفض باعتبار كون العبد نفسه هو الطالب أو الراغب في ذلك، مع أنه لا يملك من أمر نفسه شيئا فكيف بغيره؟، ولعل هذا هو السر وراء التعبير بالملكية المصرح بها من وراء التقييد بقوله:(مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) المكنى بها عن العبيد، والتي تكرر من خلالها التعبير بالاسم الموصول (ما)، وما ارتبط به من ذكر لـ (الأيمان) التي كأنها تؤكد القوة التي قد تمنع مما أوجب التأكيد الذي احتفل به هذا السياق، وفي التعبير بـ(إن) الشرطية بما تحمله

١-ينظر: المفردات ص ٤٢٣

٢-المفردات ص ٤٢٥

من معاني الشك إشارة إلى أن مجرد ظن الخيرية، وتوهمها كفيل بتحقيق هذه المكاتبة، والإقرار بها، وذلك لما تحققه من معاني العفة، أو ما يدعو إليها، ولعل هذا هو وجه تنكير الخيرية، والتعبير بـ(العلم) الذي يشمل الموجود والمعدوم[١]، ومن ثم كان في التقييد بـ(في) الظرفية ما يلائم الخفاء الذي تكون عليه هذه الخيرية الكامنة ، ورتب علي الأمر بـ(المكاتبة) الأمر بـ(الإيتاء) دون (الإعطاء) ترغيبًا فيها، وحثًا عليها، وتأكيدًا لمعاني الاستخلاف التي لا تبيح لأحد المنع، أو الشح باعتبار أن المال هو مال الله، وأن الحق هو حق الله[٢]، وتأكيدًا لهذا عبر السياق بالمال المنبئ عن الزوال، وأضافه إلي لفظ الجلالة (الله) بوضع الظاهر موضع المضمر استحضارًا لعظمته في نفوسهم باعتباره المالك الحق، وفي وصفه بالاسم الموصول (الذي) مبالغة في التنبيه على أنه عطية الله- سبحانه وتعالى-، ومنحته التي تقتضي اللطف واللين، والعطف والإيثار ، ومن ثم أعاد ذكر الإتيان وأضافه إليهم في جملة الصلة لارتباطها بالأمر المعلوم، ودلالتها عليه، وفي هذا ما يكشف لنا عن عناية السياق بهذا الأمر المبني على المخالفة، والذي يعد الربط بـ (الفاء) وسيلة من وسائل تأكيد وجوبه وإلزامه، والتي يصورها السياق بتكرار التعبير بـ(الإغناء)، وتكرار إسناده إلى لفظ الجلالة سبحانه.

وتلاؤمًا مع غايات التأكيد التي تقصد إليها المعاني أعقب السياق الأمر بالمكاتبة، والإيتاء المحقق للعفة، بالنهي عن الإكراه على البغاء بما يحققه من إشاعة للفاحشة التي ينهى عن التخلق بها؛ ولهذا عبر بـ (الإكراه) خاصة بكونه حمل الإنسان على أمر لا يريده طبعا أو شرعا[٣]، وآثر التعبير بصيغة المؤنث (الفتيات) ، وأضافها إليهم إظهارًا لمعاني الغلبة والقهر الملائمة للتحذير، والتي يفيدها إيثار التعبير بحرف الاستعلاء(على)، وما دخلت عليه من (الْبِغَاءِ) الدال على شدة الطلب لما ليس بحق على التغليب[٤]، والذي يلائم بتعريفه عظم جرمه، وخطر

١-ينظر: الفروق اللغوية ص ٩٦

٢-ينظر: الكليات ص٢١٢، ومعجم الفروق اللغوية ص٨٦،٨٧

٣-ينظر: المفردات ص٤٢٩، والكليات ص ١٦٣

٤-ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٣٢

وقعه، وجاء التقييد بجملة الشرط المصدرة بـــ(إن)؛ لأنها بدلالتها على الشك كأنها تلائم ندرة إرادة التحصن بسبب ما جبلن عليه من غريزة تصعب مقاومتها، لاسيما وقد تهيأت لهن أسبابها، ودوافعها الظاهرية بالإكراه، والمعنوية بالرغبة؛ ولهذا عبر بـــ(الإرادة) لأنها بكونها قوة مركبة من شهوة وحاجة وخاطر وأمل[١] تكشف عـــن عظم المقاومة التي تتحلى بها من ترفض ذلك، وتنأى عنه، والتي لا تكاد توجد كما هو مفاد (إن) الشرطية، ولهذا عُرّفت الإرادة بأنها العزم على الفعل، أو الترك بعد تصور الغاية، المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك.[٢]، ولعل هذا مـــا قصدت إليه المعاني من وراء دلالات التفعل التي تدل عليهـــا لفظـــة (تَحَصُّـــنًا) بأصلها، وصيغتها التي صورت التحصن هذا وكأنه منزل يحيط بهـــا، ويمنعهـــا، ولهذا جاء الوعد لهن بالمغفرة والرحمة وإن وقع عليهن الإكراه، في صورة الشرط الصريح المخبر عنه بالجملة الاسمية المقترنة بـــ(الفاء) وذلك بقوله-تعالى-:{ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، وفي هذا تصوير لعظم العفة التي كن يتحلين بها، ويحرصن عليها، والتي أكرهوا على التخلي عنها مقابـــل عـــرض زائل حرص عليه مالكوهم، وتمسكوا به، صوره السياق بـــ(الابتغاء) الوارد بصيغة المضارعة الدالة على شدة الطلب، وشدة الحرص مع التجدد رغم زهادته المعبـــر عنها بـــ(العرض)، والمضاف إلى (الحياة) الموصوفة بـــ (الدنيا) المؤكدة لكمالهـــا في القرب فضلًا عن الدونية، التي تقتضى العزوف، والبعد، والتخلي، لاسيما عندما يرتبط بها ما ينافي الأخلاق، والقيم، والمبادئ المتمثلـــة فـــي التلـــبس بالفاحشـــة، وإشاعتها، وهو ما أوجب التقرير بالشرط الصريح والضمني، وما ارتبط به مـــن تأكيد لاح في صورة (الفاء) المقترنة بالجواب في (فكاتبوهم) وفي (فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ومن خلال هذا استطاع السياق في سورتي النساء والنور أن يقرر أن السبيل إلى القضاء على الفاحشة إنما هو النكاح، ولكن لما كانت الحاجة، وقلة ذات اليد قد

١-ينظر: المفردات ص٢٠٦

٢-ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣٥

تدفع للتقاعس عنه، وعدم القدرة عليه، لاسيما العبيد والإماء رغب الإسلام في الإقدام عليه، ووعد المقبلين عليه بالإغناء، ودعا المالكين إلى المساهمة في ذلك، وعدّ ذلك حقًا من حقوق مملوكيهم عليهم لا يقل قدرًا عن حقوق أولادهم، وذويهم، ومن ثم كانت في (المكاتبة) من معاني الإلزام والوجوب ما يرشح إلى كون المقصود منها الزواج ، أو ما يؤدي إليه، وفي الأمر بالإيتاء في (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) ما قد يؤيد ذلك، لاسيما وقد صُرح بها في سورة البقرة في شأن النكاح وما يتعلق به وذلك في قوله-تعالى-:{ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ }[1]، فقد ذهب المفسرون إلى أن المقصود بابتغاء ما كتب الله هو الولد[2]، وفي هذا ما يكشف عن وجه مناسبة ذكر (المكاتبة) لسياق الآيات التي تدعو إلى النكاح المؤكد للعفة التي تعد الوسيلة الأعظم للقضاء على الفاحشة، ولا يبعد أن تكون (المكاتبة) حقيقية ، وأن يكون المقصود من ورائها هو الرغبة في التحصن، ومن ثم رتب السياق عليها الأمر بـ(الإيتاء) في(وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)، وأن يكون المرشح له هو ذكر الفقر المانع، والذي كأن السياق يأبى أن يكون سبيلًا من سبل الخوف والتوجس لمنافاته للتوكل الذي يدعو إليه إسناد الإغناء إلى الله – سبحانه وتعالي-، وتكرار ذكره تصريحًا وتضمينًا.

ومن خلال هذا يتبين أن الحرص على آداء الحقوق كأنه هو الذي يدعو إلى الاقتران بـ(الفاء) بما تحمله من ملامح التوكيد والعناية، والتي يشي بها الاقتران الوارد في قوله – تعالى-:{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[3]

١-سورة البقرة من الآية (١٨٧)

٢-ينظر: الكشاف ٣٨٨/١

٣- سورة النساء الآية (٤٢)

فالسياق آثر التعبير بالاسم الموصول (ما) الموضوع لغير العاقل ليلائم العموم المفاد من البناء للمفعول في (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ) ومبالغة في التأكيد المفاد من الاقتران بـ(الفاء) أعقب ذلك بالحال (فريضة) تنويهًا وتعظيمًا.

وقريب منه سمتًا ودلالة وإن اختلف أسلوبًا قول الله-تعالى-: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١]

فالخبر جاء جملة اسمية مقترنة بـ(أنَّ) ليناغي عناية السياق بتأكيد وتقرير هذا الحق لاسيما في مقام النزاع والشقاق الذي رصدته هذه السورة الكريمة وتنزلت بسببه، ومن ثم كان هذا مسوغًا للربط بـ(الفاء) الواردة في إطار أسلوب القصر المفاد من التعبير بـ(أنما) وما سبقت به من أمر زاد السياق عناية، واهتمامًا، وتنبيهًا، وهو ما يعد مرتبة أعلى لمقام الاقتران الوارد في قوله -تعالى- {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٢]، ولعل التكرار المتلبس به قد جاء لينوب عن التأكيد المشتمل عليه أسلوب(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) باعتباره أكثر تحديدًا، وأشد تعنيفًا مما يلائم الترقي بترتيب السور والآيات الذي رصدته الدراسة لمقامات الارتباط بـ(الفاء).

١- سورة الأنفال الآية (٤١)

٢- سورة الحشر الآيتان (٦،٧)

المبحث الثاني

مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ (الفاء) في مقام التحذير

يغلب التحذير في المواطن التي يشتد فيها الخطب، وتكثر الدسائس، وتتنوع المخاطر، ولاسيما عندما تتبدى في صورة الحسن، وفي ثوب الزينة كما هو شأن المال الذي حذرت منه مواطن الاقتران بـ(الفاء) الواردة في هذا المقام، والتي قادت إلى الكفر والإشراك وتسببت فيهما، وهو ما ستظهره هذه الدراسة في هذه المواطن التي بلغت ستة مواضع وجاء فيها الاسم الموصول صريحًا في الدلالة على الصلة.

فمن مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التحذير قول الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}.[1]

ففي مقام التحذير هذا جاء خبر الموصول الفعلي (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مقترنا بـ(الفاء) ليبالغ في التحذير من اكتناز المال، والضن بإنفاقه في سبيل الله تعالى، ظنًا بأنه مصدر الحماية، والأمان، والطمأنينة، والتي كأن السياق ينبه عليها من وراء استعارة (البشارة) لـ(النذارة) التي كأنها تلائم التوهم الذي يكونون فيه بظاهر ظنهم هذا الذي يوردهم النار الموسومة بالعذاب الدال على دوام تلبسهم به، واستمرارهم معه كما هو مفاد (الباء) بدلالاتها على الإلصاق والملابسة فضلًا عن اللفظة نفسها؛ ولهذا وصفه بـ(الأليم) لأنه بدلالته على الوجع الشديد[2] الملائم للكي المنصوص عليه يسهم في تحقيق المبالغة، وإظهارها والتي كأن مادة (بشر) هذه تقصد إليها[3]، ولعل هذه هي أسرار العناية التي قصد إليها السياق من وراء التعبير

١-سورة التوبة الآيتان (٣٤،٣٥)

٢-ينظر: المفردات ص٢١

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص٢٦٥، ومعجم مقاييس اللغة ٢٥١/١ (بشر)

بالاسم الموصول (الذين) الذي كأنه بما يتضمنه من معاني الشرط ينبه، ويلفت الذهن إلى عظم هذا العمل، وخطورة الحرص عليه، والذي تصوره دلالة التجدد التي تفيدها صيغة المضارعة (يكنزون)، والتي كأنها تكشف بدلالة مادتها على التجمع[١] عن الحرص الذي يريد السياق أن يستحضره من وراء الإشباع الذي يلوح من ذكر الذهب، والفضة، والضن بهما، ومن وراء تكرار ذكر الكنز، الدال على تعلق النفس به، وكماله فيها، وهو ما يشي به تعريف الذهب، والفضة بـ(أل) الملائمة لارتباط العذاب بهما، وقيامه عليهما، ورتب علي هذا الكنز نفي الإنفاق بقوله:(وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)؛ لأن المال لا يسمى كنزًا إلا عندما تمنع زكاته[٢]، وآثر النفي بـ(لا) لأنها بدلالتها على الاستقبال أقدر على تصوير الحرص، والإصرار، والعزم الكامن في هذه النفوس، والمسيطر عليها، وفيه بنفي (الإنفاق) خاصة بأصل دلالته على انقطاع الشيء وذهابه[٣] إشارة إلى أن سبيل النجاة من البشارة بالعذاب هذا إنما يكون بالتخلص من المال، وعدم إبقاء شيء منه رغم ملكيته التي يفيدها بكونه إخراجًا من الملك[٤]؛ ولهذا قيده بكونه (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ليبين وجه الخيرية التي ينبغي أن يكون فيها، والتي يشي بها السبيل بدلالته على العموم[٥]، والذي زادته تشريفًا إضافته إلى لفظ الجلالة الدالة على كونه سبيل الحق والخير والفلاح، والمكنى به عن الجهاد لتوسيع أفق الإنفاق حتى يشمل كل وجوه الخير، ويستقر فيها كما هو مفاد التعبير بـ(في) الظرفية التي كأنها بدخولها على السبيل، وارتباطها به تجسّد لهذا الإنفاق، وتقرر له بكونه سبيلًا للخلاص من البشارة بـ(العذاب) التي اقترنت بـ (الفاء) لتؤكد فضلًا عن ورودها بصيغة الأمر، وما اشتملت عليه من تشديد لـ(الشين)، وتكرير لـ(الراء) العزم عليه، والتمسك به ،والذي كأنه في حقيقته يناغي الحرص على المال، والعزم عليه، والتمسك به،

١-ينظر: معجم مقاييس اللغة ١٤١/٥ (كنز)

٢-ينظر: الكليات ص٧٤١

٣-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٥٤/٥ (نفق)

٤-ينظر: الفروق اللغوية ص١٦٧

٥-ينظر: الفروق اللغوية ص٢٩٨

والذي يكشف عنه السياق بتفصيل الحديث عنه بعد إجماله بقوله:(يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ).

فتنكير السياق لقوله:(يوم) كأنه يناغي عظم هذا اليوم، وعظم هوله الذي يصوره (الإحماء) بكونه الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية[1]،وفي هذا ما يكشف عن ملاءمة الإحماء، والكي للذهب والفضة المنصوص عليهما، وفي تقييد (الإحماء) بكونه (عليها) دون (لها) ما يشي بأن هذا (الإحماء) قد كان بعد توقدها وانصهارها، وفي هذه إشارة إلى أنها من شدة انصهارها، وتوقدها كأنها قد أصبحت هي مصدر (الإحماء)، وآلته، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء التقييد بـ(في) دون (الباء)، ومن وراء إضافة (نار) إلى (جهنم) بقوله -تعالى-:(فِي نَارِ جَهَنَّمَ) الدالة على إحاطة النار وما تلبست به من دخان بها، والمفيدة بالإضافة إلى (جهنم) إلى أن هذا (الإحماء) كائن يوم القيامة، وفي قعرها الملائم لذكر الكنز، والنص عليه، وفي هذا ما فيه من المبالغة في التهويل والتفظيع المحقق للتحذير.

يقول الألوسي:"(يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي توقد النار ذات حمى وحر شديد عليها، وأصله تحمى بالنار من قولك حميت الميسم وأحميته، فجعل الإحماء للنار مبالغة لأن النار في نفسها ذات حمى فإذا وصفت بأنها تحمى دل على شدة توقدها، ثم حذفت النار وحول الإسناد إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود بأتم وجه"[2]

وجاء العطف بـ(الفاء) في (فتكوى) ليشير إلى أن هذا الكي إنما يكون عقب (الإحماء) دون مهلة، وفي هذا ملاءمة لارتباطه بالنار، وكونه بها[3]، ونظرًا لتعلق هذا العذاب بالذهب والفضة باعتبار كون الكنز لهما قدم القيد (بها) على مواطن الكي التي أسهب السياق، واحتفل بتعديدها ليجبر التأخير، ويحقق التهويل الداعي

١-ينظر: المفردات ص١٣٢

٢- روح المعاني ٨٨/١٠، وينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٧٨/١٠،١٧٩

٣- ينظر: المفردات ص٤٤٥

إلى البذل والإنفاق، ولهذا قرن العذاب الحسي بالعذاب القولي بقوله-تعالى- (هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)، والمشار إليه باسم الإشارة الموضوع للقريب (هذا) للدلالة على حقارته رغم ما ترتب عليه من عظيم العذاب، ولعل هذا هو وجه التعبير بالاسم الموصول (ما) الموضوع لغير العاقل، والذي كأنه يعد صورة من صور التهكم بهم، والتوبيخ لهم[١] بكونهم قد فقدوا الأهلية عندما تمسكوا به، وحرصوا عليه، ولهذا أعاد ذكر الكنز، وعبر عنه بصيغة الماضي الدالة على تحقق الوقوع، وقيده بقوله:(لأنفسكم) الملائم لاختصاصهم بالعذاب، وذلك بتجريده منهم أنفسًا يسند إليها العذاب، ولعله عذاب الروح والجسد باعتبار أن النفس هي الروح[٢]،وقد يقصد بها القوة الداعية إلى الشرور، والموقعة صاحبها في المحذور[٣]؛ ولهذا جاء الأمر بـ(الذوق) مقترنا بـ(الفاء) التي كأنها تناغي التأكيد المقصود من وراء الاقتران بـ(الفاء) في (فبشرهم)، والتي كأنها تلفت إلى التطعم[٤]المرتبط بالذوق الداعي إلى الاكتناز؛ ولهذا ربطه به، وذلك بالتعبير بالاسم الموصول (ما) الموضوع لغير العاقل، وبصيغة المضارعة (تَكْنِزُونَ) التي كأنها تستحضر مع العذاب الأسباب الموجبة له، والتي كأن المعاني تقصد إليه من وراء الإشباع الذي يلوح من الإتيان بجملة (كنتم)، وإخراج جملة:(تَكْنِزُونَ) من رحمها بما تصوره من معاني الحرص، والتمسك التي كأن السياق من وراء صيغ المضارعة يقصد إلى استحضارها لقيام العذاب عليها، وارتباطه بها، وفي الأمر بـ(الذوق) بكونه بما يقل تناوله[٥]دعوة إلى الاقتصاد الذي كأنه يرغب في الإنفاق الذي تدعو إليه السورة الكريمة، وكان سببًا في نزولها، ولعل هذا هو وجه الالتفات الكائن من وراء توجيه الخطاب إليهم في (هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ).

١- ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠/١٨٠

٢-ينظر: المفردات ص ٥٠١

٣-ينظر: معجم الفروق اللغوية ص٥٢٠

٤-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/٣٦٤ (ذوق)

٥-ينظر: المفردات ص ١٨٢

ومبالغة في التحذير من اكتناز الذهب والفضة، والضن بهما رتب أمرهما هذا على أمر الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله تعالى، "تغليظاً ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطي منكم طيب ماله: سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم".[1]

فالسياق بهذا الترتيب كأنه يشير إلى أن اكتناز الذهب والفضة، والضن بهما، يعدل في ذنبه وجرمه ما يقوم به الأحبار، والرهبان من أكل أموال الناس بالباطل، وصدهم عن سبيل الله، وكأن في هذا إشارة إلى أن ما يزيد عن الحاجة من أموال ليس من حق صاحبها، وأن عدم إخراجه يعد من أكل أموال الناس بالباطل، ويعد من الصد عن سبيل الله، ولعل هذا هو وجه المخالفة التي يريد السياق أن يقررها بالتعبير بـ(البشارة)، وقرنها بـ(الفاء) التي كأنها تلائم بما تحمله من تأكيد الغرابة التي ينطوي عليها هذا الأمر، ولعل هذا هو وجه التعبير بـ(الإنفاق) الذي يكون بالإخراج من الملك، والمرغب فيه بالأمر بالذوق المقترن بـ(الفاء) في(فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)، وما تلبس به من إشباع صوره التعبير بالفعل الناسخ بما حققه من تنبيه وتقرير باعتباره فطرة جُبلت عليها النفوس [2]، ولعل هذا وجه الوعد بالإغناء في(وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[3]، وذلك حتى لا يتكلوا على الأسباب الظاهرة من الحرص على الاكتناز، والتمسك به بمنع حقوق المال، والمساهمة في وجوه الخير لاسيما الجهاد الذي كان سببًا في تنزل هذه السورة الكريمة بعد غزوة العسرة التي تخلف عنها من تخلف، وخان فيها من خان، وبخل فيها من بخل، يشعر بهذا إلحاح السورة الكريمة على الأمر بإيتاء الزكاة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، وقرن ذكر محبة الأهل بمحبة المال، والتي كأن السياق قد قصد إليها بذكر الاكتناز، والإلحاح عليه ما كان مسوغًا للمخالفة التي تلوح من استعارة البشارة للنذارة، وإتيانه بها خبرا للاسم الموصول المنبه مع

١-الكشاف ٣٦/٣

٢-ينظر: نظم الدرر ٣٠٦/٣

٣-سورة التوبة من الآية (٢٨)

ارتباط خبره بـ(الفاء) على وبال ذلك، وعظيم خطره، يؤيد هذا تقديم ذكر الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في قوله –تعالي–:{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[١]، ثم قوله –تعالى– في السياق نفسه: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.[٢]

فالعناية والاهتمام بتقرير ضرورة الإنفاق في سبيل الله تعالى، والتي اقتضت التحذير من الاكتناز باستعارة البشارة للنذارة، وربطها بـ(الفاء) الواقعة جوابًا للاسم الموصول المنبه على خطورة اكتناز المال، والضن به، لاسيما في هذا السياق الذي قد رُتب التحذير فيه على ما كان يفعله الأحبار والرهبان الممثلون للقدوة، والأسوة من أكل لأموال الناس بالباطل، وصدٍ عن السبيل، كأنها هي التي اقتضت التنبيه بالنداء المصدر به السياق، وما ترتب عليه من تأكيد صورته (إنَّ) وما دخلت عليه من كثرة تعد بمثابة زجر قوي يكشف عن مدي حب المال، وحب التمسك به حتى ممن يمثلون القدوة، والأسوة ما أوجب التحذير الشديد من التمسك به، والحرص عليه، باعتباره سببًا من أسباب الكفر، وقتل الأنبياء، والمقسطين المقتضي للاقتران بـ(الفاء) في قوله–تعالى–:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}.[٣]

فاقتران خبر الموصول (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) بـ(الفاء) في هذا المقام التحذيري كأنه جاء ليكشف عن عظم هذه الأعمال، وعظم جرمها، وعظم العذاب الموعود عليها؛ لمخالفتها للفطرة السليمة، والطبيعة القويمة، والسبل المستقيمة، التي تؤمن بالحق والعدل، وتدعو وترسخ للفضيلة، والتي كأنها تكمن وراء استعارة البشارة للنذارة الملائمة للعذاب الموسوم بـ(الأليم) لتأكيد دوامه واستمراره المشاكل

١–سورة التوبة الآية (٢٠)

٢–سورة التوبة الآية (٤١)

٣–سورة آل عمران الآيتان (٢١،٢٢)

لدوام وتجدد أعمالهم التي كأن السياق بعد التأكيد بـ(إنّ)، وما ارتبط بها من الاسم الموصول (الذين) المنبه على عظيم أعمالهم، وشناعة جرمهم يريد أن يستحضرها، وذلك بصيغ المضارعة التي كأنها تكشف عن الإصرار، والحرص رغم العلم بحقائق الأمور التي يشي بها التعبير بـ(الكفر) بما يحمله بأصل دلالاته على الستر والتغطية من أن هذا الكفر قد كان بعد بيان الآيات، ووضوح الدلائل، وتحقق القرائن، وهو ما احتفلت السورة الكريمة بتحقيقه ببيان الوحدانية، التي دعت إليها الكتب والشرائع السابقة، والوقوف على المحكم والمتشابه، وما تكمن فيه الخيرية من التقوي، وما يترتب عليها من نعيم مقيم في الآخرة يحققه الدعاء والاستغفار، والصبر والإخلاص واليقين، وذلك بما يدعو إليه من عزوف عن الدنيا، و عن التعلق بزينتها وزخارفها التي حذرت منها الآيات، وأكدتها المواقف والأحداث التي اشتمل عليها السياق، وهو ما يعد سببًا من أسباب تقييد الكفر بكونه بـ(الآيات) الدالة على كثرتها، وتنوعها المناغية لإيثار التعبير بالكفر[1]، والتي أضيفت إلى الله- سبحانه وتعالى- لتأكيد عظمها، ووضوحها، وجلائها الذي لا يستحق إنكارًا وتعمية، وسترًا وتغطية، دعتهم إلى ارتكاب الجرائم التي صورها التعبير بـ(القتل) بما يحمله من عنف وسفه وطيش، وذلك بقيامه على إزهاق روح، وهدم بنية من اصطفاهم المولى -سبحانه وتعالى- لتبليغ دعوته، ونشر رسالته، والقيام على حكمه، والتمسك بأمره، وهو ما قصدت إليه المعاني من وراء التعبير بـ(النبي) لأنه بكونه أعم من الرسول[2] يحقق معاني التعميم الدالة على عدم نجاة أحد منهم رسولًا أم نبيًا وهو ما تشي به صيغ الجمع، لاسيما السالم منها لتأكيدها لدلالات الكمال المشار إليها بالتعريف، والمبالغ في بيان قبحها بنفي الأحقية المقتضية لذلك بالغيرية التي كأنها بكثرة حروفها مقارنة بـ(لا) تؤكد فضلًا عن دلالتها على المخالفة[3] نفي التلبس بالحق المقتضي للقتل، وإنما نكَّره ليقطع مجرد ظن الأحقية

١- ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٣٠

٢- ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٥٣١

٣- ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٠٤/٤ (غير)

المسوغة لذلك، ومبالغة في بيان جرمهم المقتضي للبشارة بالعذاب المؤكَّدة بالارتباط بـ(الفاء) أعاد ذكر (القتل) لتعدد المتعلق، وأوقعه على الاسم الموصول (الذين) ليكشف عن كمالهم في الخيرية المدلول عليها بالأمر بالقسط، والمقصودة من وراء الإشباع الذي يشي به التعبير بالاسم الموصول وصلته مع إمكان التعبير بـ(المقسطين)، ولعل الدلالة على كون الأمر بالقسط هذا ظاهرًا وجليًا[١] فضلًا عن الكمال هي التي تكمن وراء هذا الإشباع المؤكد لعظم الجرم، وبشاعة الفعل، والذي كأن السياق يقصد إلى استحضاره بصيغة المضارعة، فضلًا عن التجدد والاستمرار المؤكد للبشاعة والاشمئزاز، والذي يفيد بتقييده بـ(الناس) دلالات العموم الشاملة للأحياء والأموات[٢] المؤكدة للاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو ما قد يكون سببًا من أسباب إعادة ذكر القتل تلاؤمًا مع انتهاء زمن النبوة الذي قد يقطع معاني التجدد الاستمراري المدلول عليه بالناس، والمرتبط بـ(من) للدلالة على الأولية الملائمة للأفضلية المفادة من أصل دلالات الابتداء التي توحي بها، والتي أغنى فيها ذكر (القسط) عن الحق المنفي في جانب النبيين، والتي كأن السياق يشير من ورائها إلى أن الأمر بالقسط هذا كائن في الأمور الحسية والمعنوية، القولية والفعلية، ولعل هذا ما قصد الإشارة إليه ابن منظور بقوله:" والإِقْساطُ العَدل في القسْمة والحُكم"[٣]، ولعل هذه هي دلالات العموم التي استدعت الربط بـ(الفاء) المؤكِّدة في (فبشرهم)، والتي تتناغي مع دلالات العموم المفادة من جمع (النبيين)، ومن التعبير بـ(الآيات) المضافة إلى لفظ الجلالة، هذا فضلًا عن التكرار المفاد من التعبير بصيغ المضارعة الدالة على التجدد الاستمراري، والتي ألح عليها السياق بقوله: (يَأْمُرُونَ) الذي يكون فضلًا عن دلالات المضارعة بالقول والفعل[٤]، والذي كأنه-إلى جانب ما سبق- يناغي درجات الترقي باعتبار أن هذا الموطن أعلى درجات التحذير بجمعه بين الكفر قولًا بستر وتغطية الآيات، وفعلًا بالقتل والسفك،

١- ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٣٤

٢- ينظر: الفروق اللغوية ص٢٧٥

٣- لسان العرب ٣٧٧/٧ (قسط)

٤-ينظر: المفردات ص ٤٢

وفي هذا ما يكشف عن أسباب اقترانه بـ(الفاء) إذا ما قورن بسابقيه{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }[1]،{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ }[2].

فهذان الموطنان وإن احتفل السياق بتأكيدهما بـ(إنَّ)، وبالتعبير بالاسم الموصول (الذين) الدال على كمالهم في هذا الوصف إلا أن ارتباطهما بجانب واحد من الجوانب المشتمل عليها موطن الشاهد، وهو جانب الكفر مع عظمه، كأنه هو الذي سوغ بتجريد الخبر من الاقتران بـ(الفاء) التي اطرد ارتباطها بمقامات العموم والشمول، وذلك باعتبارهما مراحل للتحذير، والتخويف المشتملة عليها السورة، والتي يعد موطن الاقتران بـ(الفاء) أعلاها مرتبة، وأشدها تحذيرًا.

ففي الآية الأولي جاء التحذير من الكفر بالآيات فقط لوروده عقب تقرير الوحدانية التي احتفلت الكتب السماوية بالنص عليها، ومن ثم كان التهديد بالعذاب الشديد مرتبطًا بمن أنكرها، وقصد إخفاءها، وفي تقييد الكفر بكونه بـ(آيات الله) ما يلائم التخصيص المقتضي للتجريد من الربط بـ(الفاء)، وكأن هذه الآيات المنصوص عليها إنما هي الآيات الدالة على وحدانيته، والكاشفة لتفرده-سبحانه وتعالى- بالملك والملكوت، وفي دلالات الثبوت[3]التي تحملها لفظة (آية) ما يلائم التوكيد المفعم به هذا السياق الدال على عظم العذاب الموعود على هذا الفعل، ولعل هذا هو وجه جمع (الآيات)، وإضافتها إلى لفظ الجلالة المؤكد لدلالات الوحدانية التي تقصد إليها المعاني، والتي أنكرها هؤلاء الموسومون بالكفر عنادًا، واستكبارًا، والذي كأن السياق قد قصد إلى كشفه، وإظهاره بإيثاره للتعبير بالاسم الموصول (الذين)، وصلته التي لا تأتي إلا في الأمر الظاهر المعلوم، والتي أشبعها بالنص على الآيات، وإضافتها إلى لفظ الجلالة، ما أوجب قصر العذاب الشديد عليهم، ونفيه عن غيرهم، وكأن غيرهم لم يقترف جرمًا يوجب له عذابا كهذا أو قريبًا منه

١-سورة آل عمران الآية (٤)
٢-سورة آل عمران الآية (١٠)
٣-ينظر: الفروق اللغوية ص ٧١

مبالغة وادعاءً تكشف عنه، وتدل عليه الشدة الموسوم بها العذاب المحقق بدوامه واستمراره مقاصد الدوام الكامنة وراء التعبير بالجملة الاسمية الواقعة خبرًا للاسم الموصول، والتي كأنها قرنت بجملة الحال (وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)؛ لتلائم بالتعبير بلفظ الجلالة (الله) بوضعه موضع المضمر المبالغة التي تقصد إليها المعاني من وراء تأكيد معاني الوحدانية، ومن ثم وسمه بـ(العزيز) الذي لا يُنال بأذىً[١]، لأن كونه كذلك أقدر على شدة الانتقام، الدالة على أن انتقامه هذا لم يكن نتاج قهر أصابه لخلف وعد، ونقض عهد، وتنكب طريق، وإنما نتاج كمال واقتدار تصوره المصاحبة المفادة من (ذو)، والتي تجعل الانتقام معه –سبحانه– في كل أموره وشئونه تحذيرًا وترهيبًا.

وفي الآية الثانية {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} أطلق المولى –سبحانه وتعالى– الكفر دون تقييد، وأخبر عن الكافرين هؤلاء بأنهم لن تغني عنهم أموالهم، ولا أولادهم من الله شيئًا؛ ليشير إلى أن هذه الأموال والأولاد كأنها هي التي قادت إلى الكفر، والقتل المستحضر بصيغة المضارعة في الشاهد موطن الدراسة الذي اقترن خبره بـ(الفاء) ليلائم مع التوكيد غايات العموم التي تقصد إليها المعاني، ولهذا نفي السياق الإغناء بـ(لن) المفيدة للتأبيد، وقدم الأموال باعتبارها المحقق الأول لذلك، وقرن العطف بالواو بالعطف بـ(لا) النافية مبالغة في التأكيد والتحقيق، الذي كأنه يشير إلى أن اجتماع الأمرين مع كمال كل واحد منهما في شأنه لم، ولن يحقق الإغناء المنصوص عليه، وفي دلالات المجاوزة المشار إليها بـ(عن) مع تقديمها ما يحقق ذلك باعتبار أن أصل الحدث قائم عليهم، ومرتبط بهم، وجاء التقييد بـ(من) في (مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) ليكشف عن شدة الاحتياج إلى الله –سبحانه وتعالى– رغم الكمال الذي يصوره السياق بـ(الإغناء)الذي يكون "بالمال وغيره من القوة والمعونة وكل ما ينافي الحاجة "[٢]،وهو ما يشي به الجمع بين الأموال والأولاد

١- ينظر: الفروق اللغوية ص١١٠،١٨١

٢-الفروق اللغوية ص ١٧٥،١٧٦

المفاد من الإضافة إليهم مع كمال كل واحد منهما في نفسه ؛ ولهذا نكر (شيئًا) مبالغة في التقليل، وقد يكون الغرض هو أن هذه الأموال والأولاد المحققة لـ(الإغناء) رغم كمالها لن تستطيع أن تدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، وأن يكون التقييد بـ(من) الغاية منه هي تأكيد قربه وتلبسه بهم الملائم لتلبس الأموال والأولاد بهم، وقربها منهم الذي يقتضي ظاهره الحفظ والصيانة، ولهذا آثر أن يجعل مدخول (من) لفظ الجلالة (الله) المفيد بدلالته على الوحدانية طلاقة القدرة، ومن ثم أعقب جملة الخبر هذه بالجملة الحالية (وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) الدالة باسم الإشارة الموضوع للبعيد على بعدهم عن جادة الصواب، وطريق الهداية، ولهذا قصر الوقود عليهم ونفاه عن غيرهم بتعريف الطرفين المتلبس بضمير الفصل (هم) الذي كأنه يشير بتكراره في (عنهم- أموالهم-أولادهم) إلى غيابهم عن النهج السليم، والمقصد القويم، فضلا عن اختفائهم في النار وتلاشيهم فيهم الذي يدل عليه تعريف (النار) الدال على كمالها في هذا الوصف الملائم للشدة الموصوف بها العذاب في الموطن الأول، والألم الموصوف به في الموطن الأخير المقترن بـ(الفاء) باعتباره أعلى مراتب التحذير والتهديد في(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، وفي هذا إشارة إلى أن ارتباط البشارة بمقامات التهديد قد كان بسبب ما يرتبط بها من أموال، وزينة، وزخارف تدعو من يحظى بها إلى السرور والاستبشار الذي يضمر في باطنه عذابًا وهلاكًا ووبالًا، ولعله الشر الكامن في اللفظة ذاتها؛ ولهذا جاء التحذير بصيغة الأمر في المواطن الثلاثة التي ورد فيها لينبه النفوس مع الاقتران بـ(الفاء) الواقعة في جواب الاسم الموصول على خطورة ما يملكون، وما عليه يحرصون، وفي سبيله يقتتلون.

يؤيد هذا إعادة التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد في {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}، والإخبار عنه بالاسم الموصول الدال على كمال ما ارتبط بهم من وعيد صورته جملة الصلة بالفعل (حبط) الدال بصيغة الماضي المحققة للوقوع على "إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات"[1]،

١-الفروق اللغوية ص٢٣٦

والتي كأن السياق يقصد من ورائها الألم والهلاك الناتج عن إكثار الماشية من الأكل فتنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها[١]، ولعل هذا ما قصد إليه المعنى من وراء إسناد الفعل (حبط) إلى الأعمال باعتبارها مسببة لذلك، ودافعة إليه، ومحققة له، ولعلها الأموال، والأولاد التي احتفل السياق بترديدها، وترديد فتنتها، الدافعة لمظنة الاستبشار باعتبارها بيت الداء، ومن ثم قيدها بكونها (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) تأكيدًا لدلالات العموم، وإنما لم ينص على الحياة رغم الإشباع المتسم به هذا السياق لمنافاتها للهلاك المشار إليه بالفعل(حبط) المجسد للعذاب الظاهر والباطن، والمشار إليه بدلالات الظرفية المفادة من (في)، والتي لم تُعد مع الآخرة للدلالة على أن هذا الأعمال إنما هي حقيقة في الدنيا، وأن ذكر الآخرة قرن بها لأنها لم تحظ منه بنصيب، وترقيًا في التيئيس، عطف عليه نفي وجود النصير، وصاغه بأسلوب القصر الذي ينفي وجود نصير لهم، وكأنه بهذا القصر المنفي يثبت وجود ناصرين لغيرهم تهكما بهم، وسخرية منهم تتناغي مع الأمر بالبشارة وما اقترن بها من تأكيد صورته (الفاء) المرتبطة بها.

وجاء السياق بقيد (من) في (مِنْ نَاصِرِينَ) ليلائم فضلًا عما يحمله من تأكيد استغراق نفي الناصر لهم، وبذا استطاع السياق أن يناغي التنكير في (شيئًا) بما يحمله من تقليل قد زال بهذا الاستغراق بحيث لم يبق منه شيء كما هو مفاد التعميم المدلول عليه بتنكير(ناصرين) بما يحمله من كثرة قد تحمل تعظيمًا قد يظن من وراء الأموال والأولاد المنصوص عليها، وفي هذا ما يكشف أن موطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يمثل أعلى مواطن التحذير والتهديد التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة التي تدعو إلى تقرير أمر الوحدانية، وذلك باعتبارها الركن الأول من أركان الإسلام التي يقوم عليها، والتي يجليها السياق بقصر الدين على الإسلام، ونفيه عن غيره وذلك بقوله:(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

١-ينظر: لسان العرب ٢٦٩/٧ (حبط)

الْإِسْلَامُ)[1]، وهو ما كفر به هؤلاء المبشرون بالعذاب الأليم، وقتلوا من قتلوا في سبيل القضاء عليه، وعدم التلبس به.

ثم إن المال المنصوص عليه في سياق سورة آل عمران باعتباره سببًا للكفر، وقتل الأنبياء، والذين يأمرون بالقسط من الناس كأنه هو الذي اقتضي اقتران الإخبار به بـ(الفاء)في قوله –تعالى–:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[2]

فالدلالة على أن المال الذي يحرصون عليه في الدنيا، وقد يكفرون، ويَقتلون بسببه لن يغني عنهم من الله شيئًا، ولو بلغ ملء الأرض ذهبًا إن افتدوا به، كأنه هو الذي اقتضي الاقتران بـ(الفاء) الواقعة في جواب الاسم الموصول، والتي كأنها تضمر في باطنها ما يكاد يعجز اللسان عن ذكره من أسباب، وملابسات تؤكد تأبيد عدم القبول المفاد من التعبير بـ(لن) النافية لـ (القبول) خاصة، وذلك بما يجسده مقارنة بـ(الرضا) من معاني التزلف والخضوع، والتذلل والانكسار التي يُردُّ بعدها هذا المفتدي خائبًا، وحتى يدفع توهم أن الافتداء بملء الأرض هذا كائن من مجموعهم عبر بقوله (مِنْ أَحَدِهِمْ) دون (منهم)، وذلك تحقيقًا لمعاني التيئيس الدالة على قبح ما به يتعلقون، ومن أجله يكفرون، وعليه يقتتلون، رغم عظمه المصور بالملء الشامل لظاهرها وباطنها حتى السماء، والذي لا يكاد يحدث، وهو ما لا يحققه التعبير بـ(المثل)، ولعل هذا هو وجه تعريف (الأرض) الدال على كمالها الذي لم يحظ بالقبول مع كونه بأشرف المعادن، وأعلاها قيمة، وقدرًا كما هو مفاد تقديمها في قوله:(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)، ولهذا جاء به تمييزًا ليقر

١- سورة آل عمران (١٩)

٢-سورة آل عمران الآيات (٩٠-٩٢)

في النفوس بعد التهيئة له، وكأنه يناغي تمكنه من النفوس في الدنيا، واستقراره فيها، تمكنًا واستقرارًا لم يغن عنها شيئًا، ولم يدفع عنها ضررًا ،وهو ما يشعر به التعبير بـ(لو)الامتناعية الدالة على أن الافتداء هذا امتنع لامتناع القبول، وإنما عبر بالافتداء لأنه بكونه جعل شيء مكان شيء حمى له[١]، كأنه يناغي دلالات التجسيد التي يفيدها التعبير بـ(القبول)، ولهذا أعاد الضمير العائد على الذهب عناية بتقرير ملابسته له، وارتباطه به، وذلك باعتباره أداة العذاب، ووسيلته، التي أبعدتهم عن طاعة الله، والإيمان به، والتي كأن السياق يقصد الإشارة إليها بـ (أُولَئِكَ) الدالة على بعدهم عن جادة الهداية، وطريق الثواب، وهو ما يفيده قصر العذاب الأليم عليهم دون غيرهم تفظيعًا، وتهويلًا، وذلك بما يحمله من دلالات الاستمرار الملائمة لمقامات التعبير بـ(الفاء) الرابطة، وإنما وصف العذاب بـ(الأليم) دون (الشديد) الوارد في صدر السورة، ليلائم ذكر النار الواردة في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ }[٢]، والتي اقتضت الوصف بـ(الأليم) من قبل في (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، والتي كأن الافتداء بأصل دلالته على (الطعام)[٣] يلائم التهامها لهم، وقضائها عليهم، ومن ثم ترقى في التحذير بإعادة جملة (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) التي ذكرها في مقام الاقتران بـ(الفاء) من قبل في {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}.[٤]

وفي هذا ما يكشف للمتأمل عن مراتب التعبير القرآني التي تنفي تحقق النصرة التي قد تُظن من وراء كنز المال، وحيازته، والتي صرح بها السياق القرآني بنفي (الإغناء) بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}؛ ولهذا أعقب نفي النصرة، بالترغيب في

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٨٣ (فدى)

٢-سورة آل عمران الآية (١٠)

٣-ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٨٤ (فدى)

٤-سورة آل عمران الآيتان (٢١،٢٢)

الإنفاق، والدعوة إليه بقوله: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}، والذي كأنه بذكر (الإنفاق) وتكراره، يلائم بأصل مادته الموت المنصوص عليه في صدر الآية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ)، والتي كأن التأكيد بـ(إن)، مع التعبير بالاسم الموصول (الذين)، وما ارتبط به من صلة تعددت ينبه عليه، ويكشف عنه؛ ولهذا قرنها بجملة الحال (وَهُمْ كُفَّارٌ) التي تؤكد انقطاع أملهم، وزوال رجائهم المقتضي للتأبيد المصرح به في (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ)، والذي بني فيه الفعل للمجهول لتحقيق عموم النفي المقتضي لعموم التيئيس المفاد من مقامات الاقتران بـ(الفاء)، ولعل هذا هو وجه نفي(القبول) دون (التقبل) الذي كأنه يقطع أية بارقة أمل حتى قبل الموت، وهو ما نص عليه السياق قبل هذه الآية بقوله-:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ)، ولعل هذا ما قصد التنبيه عليه بالتأكيد بـ(إن)، والتعبير بالاسم الموصول(الذين)،وإنما لم يقرن الخبر بـ(الفاء) الملائمة للتوكيد ليلائم الترقي بذكر الموت القاطع لكل رجاء.

وأشعر أن الازدياد في الكفر المنصوص عليه إنما هو الإصرار، والتمادي القاطع لحصول التوبة، والمشار إليه بصيغ المضارعة الدالة على التجدد الاستمراري، مع تنوع المعصية في (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، لاسيما وأن الكفر هذا كما نص السياق قد كان بعد الإيمان، ومعرفة الحق المفادة من التقييد بـ(آيات الله)، والتي كأن السياق قد استغني عنها بالتقييد بقوله: (بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)، ومن ثم أخبر عنهم بتأبيد نفي التوبة الدالة على عدم رجوعهم إلى الهداية بسبب مكر طبعهم، وعدم إخلاصهم، وهو ما يصوره الثبات المفاد من التعبير بالجملة الاسمية (وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) ومن ثم قصر الضلال عليهم ونفاه عن غيرهم، وعطفه على نفي التوبة ليجعله في إثبات مستقل مبالغة وادعاء في بيان جرمهم، وعظم ذنبهم، النابع عن عدم إخلاصهم في توبتهم، ما أوجب عدم قبولها[1]، الذي كأن السياق

١-ينظر: نظم الدرر ١٢٣/٢

يشير إليه بالتجريد من الربط بـ(الفاء) في هذا الموطن خاصة، مع اقترانه بها في السابق واللاحق، وكأن عدم التأكيد إنما جاء ليناغي ظهور عدم إخلاصهم نتيجة سيطرة المال عليهم ما دعاهم إلى التحريف والتبديل، والكذب والتلبيس، والتزوير والتدليس وهو ما نص عليه السياق بقوله:{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}[1]، ومن ثم كان الجزاء من جنس العمل، وذلك بنفي إغناء المال عنهم من الله شيئًا، وهو ما صوره السياق بالخبر المقترن بـ(الفاء){فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ}، والذي كأن الذهب أوثر فيه ليلائم ذكر القنطار، والدينار باعتبارهما كما سبق أشرف المعادن، وأعلاها قيمة وقدرًا.

ولهذا عندما اقتصر السياق على تصوير الكتمان دون الكذب، والتدليس تجرد الخبر من ذكر (الفاء) الرابطة، وذلك رغم الموت على الكفر المنصوص عليه في قوله- تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}[2]، يؤيد هذا أن السياق عندما نص على الكذب، والتدليس

١-سورة آل عمران الآيات (٧٥-٧٩)

٢-سورة البقرة الآيات (١٥٩-١٦٢)

بالاشتراء آثر الربط بـ(الفاء)، وإن لم يكن بالخبر وذلك في قوله –تعالى –:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}.(١)

وأظن أن هذا السياق يمثل درجة من درجات الكفر والعناد، بخلاف الآية موطن الشاهد فكأنها تمثل مرتبة أشد من مراتب الإنكار والجحود، والجشع والطمع قد يكون السياق قد قصد الإشارة إليها بالتعبير بالازدياد بقوله:(ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا)، والتي لا يبعد أن تكون درجات قتل النبيين، والمقسطين التي قصدت السورة إلى استحضارها بصيغ المضارعة في(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

ومن خلال هذا يتبين أن احتفال سورة آل عمران بارتباط خبر الاسم الموصول فيها بـ(الفاء) مقارنة بسورة البقرة في هذا الموطن قد كان باعتبارها تمثل مرتبة أعلى في الإنكار والجحود، والعناد والاستكبار، وذلك بسبب صور العناد المختلفة التي عددتها بالكفر تارة، والقتل تارة أخرى، وما انطوى تحتها من عداوة، وصد عن سبيل الله ، وفتنة للمؤمنين، و سخرية منهم(٢)، وذلك رغم الإيمان، ومعرفة الحق الذي نص عليه السياق بقوله–تعالى–:(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٣)، والذي كأنه يستبعد حصول القبول منهم رغم التوبة التي تتجدد منهم، والتي يفيدها التعبير بصيغة المضارعة المنفية في (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ)، والذي يكمن وراء إشراب نفوسهم لحب المال، وتعلقها به ، وهو ما أشعر به الاقتران بـ(الفاء).

ومن مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التحذير قول الله –تعالى–:{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ

١–سورة البقرة الآيتان (١٧٤–١٧٥)

٢– ينظر: الكشاف ٥٧٩/١

٣– سورة آل عمران الآية (٨٦)

لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ *الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ* قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[١]

ففي مقام التحذير هذا جاء خبر الموصول الفعلي (فَأَلْقِيَاهُ) مقترنا بـــ(الفاء) ليكشف عن عظم الذنب المقتضي لهذا الإلقاء؛ والمتسبب فيه؛ لتعلقه بالإشراك بالله، الجاعل مع الله إلهًا آخر، فعظم الذنب هذا كأنه هو الذي اقتضى التعبير بالاسم الموصول (الذي) الدال على كمال صاحبه في الإصرار، والعناد، والذي يصوره التعبير عن الإشراك بـــ(الجعل) الذي كأنه ينبئ بدلالات العموم التي يعبر عنها[٢] عن تجسيده لإله أخر يُتزلف، ويتقرب إليه بالطاعات والعبادات بشتى صورها، ومختلف أشكالها، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء دلالات تغيير الصورة بإيجاد الأثر فيها، وبغير ذلك، والتي يحققها الجعل[٣]، فضلًا عن الاتصال[٤] الدال على القرب والملازمة، والتي تؤكدها دلالات المعية بكونها في المكان والزمان، والرتبة والمنزلة، والنصر والتأييد وغيرها[٥]، والمضافة بدلالتها على الاجتماع في الفعل[٦] إلى لفظ الجلالة (الله) الموحي بعظم التعلق، وشدة الارتباط، وقوة المشاركة، ومن ثم عبر عنه بـــ(الإله) دون (المعبود) المحقق لدلالات التعظيم، وذلك بكونه بالتسخير والإرادة[٧]، المحققة للعبادة[٨]التي تقصد إليها المعاني من وراء ربطه بلفظ الجلالة، ووصفه بـــ(الآخر) الحامل لمعاني التأكيد والتقرير بكونه أشد ملاءمة له، وأحسن مطابقة به[٩]، ولعل هذه هي معاني الملابسة التي يفيدها

١-سورة ق الآيات (٢٣-٢٧)

٢-ينظر: المفردات ص٩٤

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص١٣٦

٤-ينظر: الفروق اللغوية ص١٣٦

٥-ينظر: المفردات ص٤٧٠

٦- ينظر: الفروق اللغوية ص ٣٠٦، والمفردات ص٤٧٠

٧-ينظر: المفردات ص٢١

٨-ينظر: الفروق اللغوية ص١٨٥

٩- ينظر: معجم مقاييس اللغة ٧٠/١ (أخر)

الجعل، والتي اقتضت، واستدعت التعبير بـ(الإلقاء) الدال على عدم الاختيار[١]؛ والذي كأنه يشير إلى القهر، والغلبة، والإذلال الذي يكون فيه هذا المتعنت المستكبر جزاء إشراكه، وكفره، ومن ثم جاء الأمر من الله -سبحانه وتعالى- مباشرة دون واسطة مبالغة في عظم الذنب، وضخامة الجرم، المقتضي لعظم العذاب، وكماله الذي يشي به تعريفه بـ(أل) مع إيثاره الدال على دوامه واستمراره، ووصفه بـ(الشديد) المؤكد بأصل دلالته على الالتزاق[٢] لمعاني الملازمة والملابسة التي كأنها تناغي الإشراك المقتضي لهذا العذاب، ولعل هذا وجه الرؤية المفاد من التعبير بـ(الإلقاء) الذي يكون فيما تراه[٣]، والذي كأن السياق يقصد إلى استحضاره من وراء الدلالة، وذلك رغم البعد المفاد من ذكر(جهنم) والنص عليها ، الدال على أن هذه الرؤية المرتبطة بـ(الإلقاء) قد كانت مع كونهم في قعر جهنم، وقاعها المدلول عليه بالوصف بـ(الشديد) بما يحمله من دلالات الالتزاق، والصلابة الموحية بتكامل هذه النار، وإحاطتها المشار إليها بالظرفية الكامنة في التقييد بقوله:(في جهنم)، والتي كأنها تقصد فضلًا على دلالات عظم العذاب إلى كشف وتصوير معاني إحاطة علم الله تعالى، وإحاطة قدرته والتي تحتفي السورة الكريمة بتقريرها من وراء دلالات ذكر القرب، والإلحاح عليه، ولعل هذا هو وجه إسناده إلى ألف الاثنين، سواء أكان المقصود به حقيقة التثنية، أو الدلالة على القوة المناغية للقدرة، وذلك بالتعبير بالتثنية عن المفرد، باعتبار أن الإلقاء إنما يكون من السائق دون الشهيد[٤]، وإعادة ذكره المقتضي للتأكيد المدلول عليه بالارتباط بـ(الفاء) الواقعة في جواب الاسم الموصول المتضمن معنى الشرط.

والسياق بتجريده للاسم الموصول (الذي) من الاقتران بـ(الواو) الاستئنافية، كأنه يريد أن يجعل هذه الجملة خارجة من رحم سابقتها تقريرًا لجرم مرتكبها الذي كأنه يشير إلى أنه مع جعله مع الله إلهًا آخر باعتباره أعظم الذنوب التي لا تغفر قد

١- ينظر: المفردات ص٤٥٤

١٠- ينظر: الفروق اللغوية ص ١٠٨

٣١- ينظر: المفردات ص٤٥٣، والكليات ص ٤٨١

٤-ينظر: نظم الدرر ٢٥٩/٧

تلبَّس بغيرها من الذنوب والخطايا التي عددها السياق بصيغ المبالغة بقوله:(كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ)، وما تلبس بها من عموم صورته لفظة (كل) المصدر بها هذا الوصف المتعدد، وهو ما سوغ حمل (الذي) على البدلية، والتي أظنها تنافي الأولية التي تحملها دلالات الكمال الكاشفة عن عظم هذا الجرم الذي لا يغفر، وهو ما اقتضى إعادة الأمر بـ(الإلقاء) وقرنه بـ(الفاء)، والتي كأنها تجعل هذا الجرم بمثابة مهاد لما سبق من ذنوب وآثام عددها السياق، وزاد في بيان عظم جرمها بالمبالغة فيها الدالة على الإلحاح، والإصرار الذي كأن التعبير بـ(الجعل)، وبوروده بصيغة الماضي المحققة له صورة من صوره، تشي بذلك الإشارة بالمفرد (هذا)، والتعبير بالاسم الموصول (ما) المشير بكونه لغير العاقل إلى أن هذا سلوك الجاهل المتسلط الفاقد لأدوات الأهلية التي تجعله يميز بين الحق والباطل، الضار والنافع، ولعل هذا سر التعبير بالظرف (لدي) الموحي بأصل دلالته على اللين[١] بالطاعة، والانقياد الذي جعله كالدابة، لا يملك حولًا ولا قوة، هذا فضلًا عن الحضور والمثول[٢] الذي يفيده التعبير بـ(لدني) الذي تشبهه (لدي) في دلالته، ومعناه[٣]، مع ما تحمله من دلالات ابتداء النهاية[٤]الملائمة لمقام العرض والإلقاء هذا، والذي يحققه الوصف بقوله:(عتيد) بدلالته على الجاهزية والتهيؤ المصورة للخضوع والخنوع الذي يصبح فيه بعد العناد والاستكبار، والإلحاح والإصرار المدلول عليه بقوله –تعالى–:(كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ)، وهو ما يؤيد أن أصل السياق قائم على الإفراد المقتضي للتعبير بالاسم الموصول (الذي) باعتبار أن هذه الأعمال إنما هي نتاج الإشراك بالله، وعدم معرفته المعرفة الحقة التي تقود إلى الهداية، ومن ثم جاء الخبر مقترنًا بـ(الفاء) باعتبار أن هذ المقام يمثل أعلى مقامات العصيان والكفر والإلحاد، ولعل هذا هو وجه التعبير عن المفرد بالتثنية في (ألقيا)، والإلحاح عليه المحقق للطغيان الدال على تجاوز الحد الوارد على لسان القرين في قوله –تعالى–:(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي

١–ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٤٣/٥ (لدن)، والمفردات ص٤٤٩

٢–ينظر: الفروق اللغوية ص٢٩٨

٣–ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٤٣/٥ (لدن)

٤–ينظر: المفردات ص ٤٤٩

ضَلَالٍ بَعِيدٍ)، وفي بدء السورة الكريمة بذكر الكفر في قوله-تعالى-:(بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)[1]ثم إعقابه بالتكذيب واللبس بقوله:(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)[2]-(أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)[3]، ما يؤكد أن الأصل إنما هو الكفر والإشراك، ولعل التأخير الذكري لقوله:(الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) إنما هو من باب اللف والنشر غير المرتب باعتباره أصل الذنب، وموطن الداء، المسبب لكل الذنوب، والداعي إليها؛ ولهذا جاء التعبير عن المتلبس به بالاسم الموصول (الذي) الدال على كماله في الكفر المناغي للتعريف في (فَقَالَ الْكَافِرُونَ)، واقترن خبره بـ(الفاء)؛ ولهذا جعل الزمخشري الأصل أن (الذي) مبتدأ مضمن معنى الشرط؛ لذا أجيب عنه بالفاء، وأجاز أن يكون منصوبًا على البدلية من(كُلَّ كَفَّارٍ) ويكون (فألقياه) تكريراً للتوكيد[4]، وقريب منه دلالة وسمتاً قول الله -تعالى-: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [5]

فالتعبير بصيغة المضارعة (يجعلون) كأنه يناغي تجدد العناد والاستكبار منهم، وهو ما اقتضى التهديد بصيغة الأمر المجاب عنها بصيغ المضارعة في (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[6]، والتي كأنها ترخي لهم العنان استدراجًا كي يستزيدوا من المتع التي لن تغنى عنهم من الله شيئًا، ومن ثم عدد الأفعال التي كأنها تناغي تنوع الأعمال، واختلافها، وتعددها، وتطاولها والتي كأن السياق يشي بها بالتعبير بحرف الاستقبال الموضوع للبعيد (سوف)، والذي يشي باقترانه بـ(الفاء) الدالة على السرعة والتعقيب بأصل وضعها إلى أن التعبير بها ما هو إلا وسيلة من وسائل مطل العبارة المحقق للمبالغة في التحذير مما لا يفي

١-سورة ق الآية (٢)
٢-سورة ق الآية (٥)
٣-سورة ق الآية (١٥)
٤-ينظر: الكشاف ٥/٦٠٠
٥-سورة الحجر الآيات (٩٤-٩٦)
٦-سورة الحجر الآية (٣)

به التعبير بـ(السين)، كما أن دلالات التجدد المفادة من صيغ المضارعة كأنها تشير إلى أن تطاول أزمنة الأكل، والتمتع قصيرة مهما طالت، وتتابعت، وتنوعت، ولعل هذا وجه الجمع بين (الفاء) و(سوف)، وسر إعادتها في جواب الاسم الموصول موطن الشاهد، والذي كأنه ينبه إلى أن الاشراك بالله تعالى هو الذنب العظيم الذي لا يقادر قدره، ولا يعلم أحد عظم وزره، مما يرجح حمله على الاستئناف دون أن يكون وصفًا للمستهزئين كما ذهب إلى ذلك المفسرون[١]، إذ الحمل على الوصف كأنه يجعل الوعيد هذا مقصورًا على المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر دون غيرهم، وهذا كأنه ينقض عظم الوعيد المترتب على الإشراك باعتباره الذنب الذي لا يغفر، والذي يشي به الاقتران بـ(الفاء) الواقعة في جوابه بتضمنه لمعاني الشرط، مقترنة بـ(سوف) التي كأنها بكثرة حروفها مقارنة بـ(السين) تلائم عظم هذا العذاب، وعظم هذا الوعيد المعبر عنه بصيغة المضارعة (يعلمون) الملائمة للاستقبال المحقق للاستدراج المأمور به، والدالة بمادتها على إدراك الشيء بحقيقته[٢] مما يلائم التأكيد المفعم به هذا السياق، فضلا عن كونه للموجود والمعدوم[٣]، ودلالته على القطعي منه[٤] مما يلائم هذا الوعيد الذي كأنه أطلق ليرخي للذهن العنان في تخيل عظمه الذي ينتظر من يجعل لله ندًا، ويتخذ من دونه شريكًا، وهو ما اقتضى المطل في صدر السورة بالتعبير بالاسم الموصول، وصلته في قوله-تعالى-:(رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)[٥]، ما يشي بأن الكفر في هذا السياق هو أصل الحدث، وأن الاستهزاء نابع عنه، ومترتب عليه، يشعر بهذا سرد السورة الكريمة لمشاهد هلاك الأمم السابقة بسبب كفرها، وعنادها، واستكبارها المترجم في صورة استهزاء صوره السياق بقوله:(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).[٦]

١-ينظر: تفسير أبي السعود ٣/٣٣١

٢-ينظر: المفردات ص ٣٤٣

٣-ينظر: الفروق اللغوية ص ٩٤

٤-ينظر: الكليات ص ٦١١

٥-سورة الحجر الآية (٢)

٦-سورة الحجر الآية (١١)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أجمعين.

وبعد

فمن خلال دراستي لمواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في بحثي هذا الموسوم بـ (مواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) في القرآن الكريم دراسة بلاغية) استطعت أن أقف على بعض النتائج والتوصيات التالية.

أولا: تبين من خلال الدراسة أن مواطن اقتران خبر الموصول بـ(الفاء) قد وردت في المقامات التي تمثل أعلى مراتب التأكيد والتقرير، لهذا ارتبطت بنهايات الأحداث، وبخواتيم القرآن وقد ظهر ذلك جليا في مقامات مشتبه النظم القرآني، وفي هذا ما يؤكد أن ترتيب السور والآيات ما هو إلا صورة من صور الإعجاز، وليس هو ترتيب نزول، وأحداث فحسب.

ثانيًا: ظهر من خلال الدراسة أن اقتران خبر الموصول الاسمي قد ورد في مقامات الوعد والوعيد، وهذا بخلاف مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي فقد اطرد ارتباطها بمقامات التحذير والوعيد، حتى في مقامات التشريع التي تلبس بها، وقد جاء في صورة الأمر الصريح وذلك بما يحققه من قوة وشدة تتلاءم مع التحذير والتهديد والوعيد، فضلًا عن كونها أكثر ملاءمة لمقامات التشريع بما يحققه من إيجاب وإلزام.

ثالثا: غلب على مواطن الاقتران بـ(الفاء) الواقعة في جواب الاسم الموصول دلالات العموم الملائمة لكونها ممثلة لأعلى مقامات التأكيد والتقرير إرشادًا وتوجيها، وعدًا ووعيدًا.

رابعا: تجلي من خلال الدراسة أن ارتباط اقتران (الفاء) الواقعة خبرا للاسم الموصول بمقامات الوعد والوعيد، والتشريع والتحذير دون غيرها من المقامات قد جاء ليلائم ما تحتاج إليه هذه المقامات من تأكيد وعناية تمثل غايات الدعوة، وتحقق مقاصدها.

خامسا: اتسام جمل الصلة الواردة في مقامات الاقتران بـ (الفاء) بالإشباع الذي كأنه يلاءم العناية التي اقتضت الاقتران، وسوغت إليه مما أسهم في تحقيق غايات المعاني وعدا ووعيدًا، تشريعا وتحذيرا.

سادسا: تنوع الاسم الموصول المرتبط بمقامات الاقتران بـ(الفاء) بين إتيانه بصيغة الأفراد والجمع، والتثنية مما يؤكد أن مقامات الاقتران هذه لم تأت لمناغاة الكثرة، وإنما استدعاها المعنى، وتطلبها السياق.

سابعًا: كثر اقتران الفاء الواقعة جوابًا للاسم الموصول المتضمن معنى الشرط باسم الإشارة الموضوع للبعيد (أولئك) وفي ذلك ملائمة لمعاني التعظيم وعدًا ووعيدًا، ترغيبًا وترهيبًا.

ثامنًا: تبين من خلال الدراسة أن التعبير بالأسماء الموصولة الخاصة المقترن خبرها بـ(الفاء) قد ارتبطت بالمقامات التي تعالج ظواهر اجتماعية عامة، وهذا بخلاف الأسماء الموصولة المشتركة فقد وردت في مقامات اهتمت بمعالجة ظواهر فردية خاصة، وقد يرجع السر في ذلك أن الأسماء الموصولة الصريحة لها دورها في تهيئة النفوس فضلًا عن تقرير المعاني.

وبعد فإن الدراسة توصي بما يلي:

أولا: تتبع المقامات التي ورد فيها خبر (مَن) و(ما) في القرآن الكريم مقترنا بـ(الفاء) والتي تحتمل فيهما أن تكون شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط، وذلك للوقوف على أيها أجدر بالمعني، وأقدر على تحقيق أهدافه وغاياته، وإن كنت أشعر أن الحمل على الشرطية أولى لما تحققه بأصل دلالتها من تهيئة وإيقاظ، فضلًا عن أن الشرط فيها صريحًا، وليس متضمنا.

ثانيًا: تتبع المقامات التي اقترن فيها الاسم الموصول بـ(أما) التفصيلية، وما ترتب على ذلك من اقتران بـ(الفاء)، والوقوف على وجه دلالات ذلك، ومراتبه في التعبير القرآني، وقد اجتمع فيه التنبيه من جهتين.

ثالثا: الوقوف على مقامات نفي قبول التوبة في القرآن الكريم، وكشف أسباب، وأسرار ذلك رغم ظاهر مخالفته لصحيح السنة المشير إلى قبول توبة المؤمن ما لم يغرر.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب-لأبي حيان الأندلسي-ت د. رجب عثمان محمد- ط: مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولى- ١٤١٨ه- ١٩٩٨م.

٢- البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي-ت: الشيخ زهير جعيد- ط: دار الفكر-بيروت-لبنان- ١٤٣١،١٤٣٢ه-٢٠١٠م.

٣- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي-ت: عبد القادر أحمد عطا-ط: مطبعة السعادة – القاهرة.

٤- تفسير التحرير والتنوير- تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور-ط: الدار التونسية- تونس-١٩٨٤م.

٥- الجنى الداني في حروف المعاني-صنعة الحسن بن قاسم المرادي-ت: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل- ط: دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- الطبعة الأولى-١٤١٢ه-١٩٩٣م.

٦- روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني-للعلامة الألوسي البغدادي-ط: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٧- صحيح مسلم-تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري-ت: محمد فؤاد عبد الباقي-ط: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٨- الفروق اللغوية-للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري-ت: محمد إبراهيم سليم- ط: دار العلم والثقافة-القاهرة.

٩- كتاب دلائل الإعجاز-تأليف: الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي- قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر- الناشر: مكتبة الخارجي بالقاهرة.

١٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل- للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري -ت: الشيخ أحمد

عادل عبد الموجود وآخرين–ط: مكتبة العبيكان–الطبعة الأولى –١٤١٨ه–١٨٩٨م.

١١– الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية –لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – ت: د. عدنان درويش، ومحمد المصري– ط: مؤسسة الرسالة–الطبعة الثانية– ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

١٢– لسان العرب–تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري–ط: دار صادر–بيروت–الطبعة الأولى.

١٣– معاني النحو –للدكتور فاضل صالح السامرائي–ط: دار الفكر –عمان– الطبعةالأولى–١٤٢٠ه–٢٠٠٠م.

١٤– معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبى هلال العسكري وجزءًا من كتاب السيد نور الدين الجزائري –تنظيم: بيت الله بيات –ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

١٥– معجم مقاييس اللغة– لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا– ت: عبد السلام محمد هارون –ط: دار الفكر –بيروت –١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

١٦– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب –لابن هشام الأنصاري–ت: د. عبد اللطيف محمد الخطيب–ط: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت.

١٧– المفردات في غريب القرآن –تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني– ت: محمد سيد كيلاني– دون.

١٨– النحو الوافي–تأليف: عباس حسن – ط: دار المعارف–الطبعة الثالثة.

١٩– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي–ت: عبد الرزاق غالب المهدي–ط: دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– الطبعة الأولى– ١٤١٥ه–١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	
١-	ملخص	١٤٦٣
٢-	Abstract	١٤٦٤
٣-	المقدمة	١٤٦٥
٤-	التمهيد	١٤٦٧
٥-	الفصل الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في القرآن الكريم	١٤٧٢
٦-	المبحث الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعد	١٤٧٣
٧-	المبحث الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الاسمي بـ(الفاء) في مقام الوعيد	١٥٠٢
٨-	الفصل الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في القرآن الكريم	١٥١٣
٩-	المبحث الأول: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التشريع	١٥١٤
١٠-	المبحث الثاني: مواطن اقتران خبر الموصول الفعلي بـ(الفاء) في مقام التحذير	١٥٣٤
١١-	الخاتمة	١٥٥٦
١٢-	فهرس المصادر والمراجع	١٥٥٨
١٣-	فهرس الموضوعات	١٥٦٠